٢٢ تشرين الثاني

لم يكن يوم ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ في لبنان ، خاتمة عهد النضال الوطني في سبيل الأستقلال ، بل كان بداية نضال جديد، لعله أشق واعنف، في سبيل توطيد دعائمه ، وتحقيق معناه ، وانقاذه من بعض العناصر المحلية التي تشوهه وتستثمره تحت ستار من الوطنية المدخولة ، وحمايته من القوى الغريبة التي تتآمر عليه تحت ستار الغيرة الكاذبة

ولعل هذا المعنى هو الذي قصد اليه دولة الاستاذ عبد الحميد كرامي ، في تصريح له عن هذه الذكرى وصدور مثل هذا التصريح عنه ، وهو احد كبار المسؤولين في هذا البلد ، له معناه ، وله عبرته ، ونرجو ان تكون له فائدته في توجيه الشعب اللبناني نحو الاهداف الوطنية الصحيحة التي تضعها الحياة امامه في هذه الحقبة العصيبة من تاريخ كفاحه . وفي اعتقادنا ان من اكبر دواعي القلق على مستقبلنا ان نطمئن الى حاضرنا ونرى في الانتصارات التي احرزناها أقصى ما نستطيع الوصول اليه ، فان رسالة الشعب اللبناني أبعد من ذلك مدى وأرفع غاية ، وهذه الانتصارات لم تزد على ان شقت امامنا الطريق الى الأفق الفسيح الذي يلائم طموحنا ، وجهادنا في سبيل الاصلاح العام ، اصلاحاً يتناول الاوضاع التي يقوم عليها مجتمعنا في صميمه ، ويشمل جمهور الشعب الكادح عماد البلاد وأملها المرتجى.

وثمة طائفتان من ابناء البلاد تعترضان اليوم ، قبل غيرهما ، سبيل هذا الاصلاح . اولاهما طائفة من رجال الحركة الوطنية ، تريد ان تجعل من يوم ٢٢ تشرين الثاني اسطورة يضيع في ضبابها الدم الذي سفك في سبيله والغرض الذي انبثق من أجله ؛ وان تحول العقيدة الوطنية الى ضرب من وثنية جديدة . ذلك لان هذه الفئة قد اكتفت بما وصلت اليه ، فلم يعد يهمها سوى بقاء الامور على ما هي عليه ، وتجنب كل ما يهدد وجودها وان كان في ذلك تهديم للبناء الذي شيد على جماجم الضحايا ، وتخاذل امام الاستعمار الذي يهدد بالتوغل من مسارب شتى .

وثانيتهما طائفة من رجال الثقافة والفكر تتبين مفاسد ذلك الوضع ، وترى الخطر يهدد الاماني التي من اجلها جاهدت البلاد وضحت ، وهو يهددها على الاخص باسم صيانتها والمحافظة عليها . ولكن هذه الفئة يائسة من الاصلاح لتهافت خلقي في تكوينها الاجتماعي ، وهي لذلك تلوذ بالعزلة وتعمد الى الهرب من ميدان الكفاح ، حاسبة ان في مجرد الكف عن الرذيلة الكفاية والغناء . وهو تفكير سلبي يؤذن بركود وتشاؤم خطيرين واستسلام لا مبرر له لما نشكو من ضعف وفساد .

على ان ثمة طائفة اخرى من المفكرين الواعين والوطنيين الصادقين ، تمتاز بالوطنية العاملة البناءة ، توطد اقدامها في ارض الحقيقة والواقع والتجربة العملية فتستمد منها اهداف العمل واسباب الكفاح ، تسبر عللنا وتتعرف قوانا وتتبين طريقنا ثم تسير فيه الى اقصى ما يمكن النظر اليه من الحرية لوطننا ومن السعادة لشعبنا ، لا يثنيها عن ذلك بعد المشقة وثقل العبء وشدائد النضال .

هذه الفئة ، على قلتها اليوم ، هي الفئة التي عليها رجاء الشعب لانها تعمل لوطنها لا لذاتها ولانها ، في عملها هذا مخلصة كل الاخلاص ، لا تنقصها الحكمة والوعي ، ولا تتردد في البذل والتضحية ، ولا يثنيها تهديد او ارهاب .

وهذه الفئة ، هي دون غيرها ، مهما كان الماضي الذي تدل به الفئات الاخرى بحق او بغير حق ، وريثة الثاني والعشرين من تشرين ، والعاملة على حمايته ، وتحقيق اهدافه ، واقامة الصرح الذي وضعت اسسه فيه .

فخري قلعجي

«اني اجد هذا العيد كيوم ابتداء لما بعده . ففيه أعلن الشعب اللبناني عزمه المنبثق عن ارادته في ان يحيا حياة حرة مستقلة . وان العيد الحقيقي للبنان هو اليوم الذي لا يساوره القلق فيه على حاضره ومستقبله ، يوم يستكمل شرائط التركيز الداخلي على اسس من الوعي القومي الصحيح والعمل الانشائي ورغبته في استمرار سيره نحو الطمأنينة . واني لأرقب هذا اليوم ليكون عيداً للبنان واللبنانيين . وترون انني وانا اجد الثاني والعشرين من تشرين الثاني ، انتظر في الوقت نفسه اليوم الذي يليه »

« الجمهور » عبد الحميد كرامي

الطب والادب

التدخين والادباء – الذكاء والجنون – تولوز – مورو – لامبروزو – مكس نوردو – النقد الادبي والطبيب – الروية والبداهة

●

بقلم الدكتور نقولا فياض

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

☆

وهذا باب آخر ينفتح امام الطبيب ليفسح له مجال العمل في ميدان الخدمة العامة . لقد تدخل في التاريخ فخلع عليه نوراً جديداً بما كشف من اسرار السحر والشيطنة وقراءة الغيب ، وتدخل في القضاء فغيّر وجهة النظر في المسؤولية ، فلم لا يتدخل في الادب والفن ؟

في صدر هذه المئة قام الدكتور تولوز في فرنسا بعمل جديد في نوعه هو دراسة الكاتب الشهير اميل زولا دراسة طبية نفسية لاظهار الصلة الموجودة بين ما يسمونه النبوغ او العبقرية وما يمنى به الجهاز العصبي من الاضطراب والخلل في صحته ونظامه . وكان ذلك بدء عهد جديد للنقد العلمي لم يكن معروفاً من قبل ، فاهتمت به الصحف والمجلات ولا سيما جريدة الفيغارو والمجلة الجديدة والطب الحديث . والقصد من ذلك التدخل في حياة الكاتب الصحية والعناية بدماغ الاديب والمفن بحجة ان اكثر العاملين في حقل الادب والفن هم ملك الاطباء لانهم من المرضى ، مرضى الارادة والاعصاب . والذي يؤيد هذه النظرية ما يبدو من آثار التقهقر البدني والعقلي في السواد الاعظم منهم ، بما يشكون من سوء الهضم والصداع وتهيّج الاعصاب المستمر ، الى عدم الاستقرار الناتج عن السهر والاجهاد وقلة المبالاة والافراط في شرب المسكرات وفي التدخين وضيق ذات اليد احياناً ، الى سرعة التأثر وقلة الصبر وفقدان الثقة بالنفس ، الى بعض الاطوار الغريبة او الشاذة والاوهام والعادات المستحكمة فيهم .

ولا احاول في هذه العجالة التبسط في شرح هذه العوامل المتعددة فقد اصبح أثرها في الاديب حقيقة لا يختلف فيها اثنان غير اني استميح القارئ الوقوف حيناً عند التدخين الذي لا يزال موضع الحيرة والشك عند ارباب القلم فكان له منهم انصار وكان له منهم اعداء . هذه الذبالة التي شغلت الناس منذ القرن الخامس عشر فحرّمها البابا اوربانوس السابع وحللتها كاترين دي مدسيس ، واستعملها فريق ألهية وسلوى وفريق تجارة ومورداً للربح ، وألّفت الجمعيات لمحاربتها فكان لها كالدين ابطال وشهداء ، كانت ولم تزل على الرغم من الاضطهاد الذي تعانيه في بعض الاندية والمجتمعات قابضة على رقاب الناس وخصوصاً رجال الفن والادب . واذا نجا البعض منها مثل « غوته » وهيكو « واسكندر دياس الاب » فان عشاقها كثيرون كاللورد بيرون و«مريه» واوجين سو «وزولا» وجورج ساند ، وموسه ، وبانفيل وسواهم — ولا اذكر سوى كتبة الافرنج لان المراجع فيما يختص بحياة ادبائنا لا تزال قليلة لدينا —

كان التدخين ابغض شيء الى هيكو وغوته حتى ان الاول لم يكن يسمح لاحد ان يدخن في بيته ، وكان يقول : التدخين يحول التفكير الى احلام ، ومن يبدل الحلم من الفكر كمن يخلط بين السم والغذاء . وكانت صحته وقوته الجسدية من وراء الغاية حتى روى بعضهم انه كان يأكل ليمونة البرتقال بقشرتها . اما غوته فكان يقول ثلاثة اشياء اكرهها واولها الدخان . . . وكان ذا ارادة جبارة وحياة تجسد على توازنها وصفائها . واذا كان في كتابه « آلام ورتر » عرف ان يصوّر اليأس ابدع تصوير فكشاهد نقاد يحسن الملاحظة ولكنه يظل محلقاً في الاجواء فوق ما يخلق قلمه وفوق شقاء البشر .

ولكن لا يحق لنا ان ننسب هذه الفضائل فيهما من صحة جسد وصفاء ذهن الى جهلها لذة التدخين فهذا زولا وكوبه وكاتول مندس ودوده من المدمنين عليه وقد وفوا قسطهم للادب دون ان يؤثر في انتاجهم العقلي او في صحتهم . على ان غيرهم كان يشكو من السيكارة حتى اضطر الى تركها ، وكان تيودور دي بانفيل وهو من اكبر المدخنين يقول « لا يمكن المدخن ، ان يكون ذا طموح وعزيمة لان الدخان احلام مفسدة وفراغ قاتل » وكان اللورد بيرون من اشد الناس بأساً واقلهم صبراً واضعفهم عزماً واسهلهم خضوعاً لتيار الحياة الجارف حتى انه البس كل ابطاله حلة شقائه

ويأسه . وكان موسه وجورج ساند على غير ما يريدان من راحة الحياة، وبودلير مثال التعاسة والتناقض يغني اليأس والعدم واكاذيب الفردوس حتى الفردوس المصطنع الذي كان يجلبه لنفسه، على ان هذا الاخير لم يكن يكتفي بالدخان وحده . . .

اما رأي الطب في التدخين فيختلف حسب الاطباء. لان كثيراً منهم لم يستطيعوا التخلص من سلطان هذه العادة فسدل الشوق والرغبة عندهم على سيئاتها وتساهلوا كثيراً في حكمهم عليه الا انهم مهما اختلفوا في كيفية تأثيره ومدى هذا التأثير فقد اتفقوا جميعاً ، وهذا ما اردت ان ألفت اليه نظر القارىء. ان الدخان مؤذ لكل كاتب يعرض نفسه للاجهاد فيسوقه الى الوهن والضعف ولا سيما في الذاكرة وقوى التناسل .

على ان زولا الذي تخذه الدكتور تولوز موضوعاً لدرسه الجديد لم يكن مصاباً بداء عصبي ولا يحمل ادنى ظاهرة من خلل العقل او الصرع او الهستريا ، ولم يعدم الدكتور تولوز مع ذلك وسيلة للقول ان جهازه العصبي كان على غير ما يرام من الصحة. ويعزو ذلك الى الوراثة ثم الى الاجهاد العقلي الطويل ، ذلك الاجهاد الذي يهدم شيئاً فشيئاً النسيج العصبي الدقيق البناء. غير انه لم يجد علاقة بين هذه الحالة وذكاء الرجل ولا يرى ان حالته العصبية كانت ضرية لانتاجه الفكري بل هي بالاحرى نتيجة لهذا الانتاج لا سبباً له .

وقديماً عرف ارسطو ان اكثر مشاهير الرجال مصابون بالسوداء ولا يامنا هذه لا يزال الاطباء مع اعتراف بعضهم بوجود استعداد ذاتي للتهيج عند المفكرين ، يعتقدون ان الحالة العصبية المتقلقة هي نتيجة للعمل العقلي وليست من بواعث النبوغ.

وبخلاف ذلك رأي الاختصاصي « مورو » فهو يدعي انعدم التوازن في حالة الاديب الصحية هي أصل نبوغه ، وان العبقرية ليست سوى ظاهرة من ظواهر تهيج الدماغ الى اقصى حد ، وان الالهام الشعري والجنون صنوان.

وجاء بعده لومبروزو فقال ان العبقرية ضرب من داء الصرع وقد ذاع كتابه « الرجل العبقري » وترجم الى لغات كثيرة وكان له في حينه شهرة بعيدة، شأن كل جديد غريب النزعة . الا ان عمر هذه الشهرة لم يطل لان الشواهد والادلة التي جمعها لتأييد زعمه كانت بعيدة عن الدقة وفي كتابه قصص وحكايات واخبار ليس عليها مسحة من الحقيقة العلمية بل هي قائمة على قال فلان وقيل عن فلان . واحياناً كان يكتفي بالنظر الى رسم الرجل ليحكم عليه ويشخص علته .

ثم جاء مكس نوردو في كتابه « التقهقر » فادعى ان كل الفن الحديث صائر الى الانحطاط والزوال . وقد قسم الانتاج الفني الى مراتب مختلفة وطبع على كل منها رقماً يحمل اسم علة عصبية ، فحشد هنا مصدراً ، وهنا كاتباً وهنا موسيقاراً ، وسمى كبرياء النفس الشرعي هذيان العظمة ، والسوداء هذيان الاضطهاد والسمو العبري غيبوبة الصرع ، والنظم خلطاً ، والايقاع ضرباً من الهوس ، وحدة الطبع ثورة جنون، واليأس نوعاً من الاحتضار

ولا يخفى ما في هذا من المبالغة والاغراق والخروج عن جادة المنطق . نعم ان ما يسمونه نبوغاً قد يظهر في الاسر القديمة المنهوكة التي لا تخلق سوى سلالة ضعيفة قد يأتي فيها الشاذ الغريب . ولكن الطبيعة لا تحب الشواذ كما يقول « ريشه » في مقدمته لكتاب لومبروزو . وعلم الحيوان ينبئنا ان بعض سلالات من الحشرات تموت فوراً عقب الانسال . أوليست هذه شرعة الحياة الدنيا بوجه ما ؟ ان الشجرة عندما تهرم فيجف ماؤها او يقرب من الجفاف تُطلع في وقت واحد على الغصن الواحد ثماراً هائلة في الجمال واخرى من سقط المتاع . وهكذا الانسانية

والدكتور تولوز في كتابه عن العلاقة بين السمو الفكري والاضطراب العصبي لا يؤيد لومبروزو بل يطالب بشواهد طبيعية بالدرس على الاحياء ممن يقبلون بأن يكونوا موضوعاً لهذا الدرس . وهو لم يتوخ في كتابته عن زولا درساً انتقاديا بل نفسانياً وربما رأى ان الوقت لم يحن بعد لفتح هذا الباب اي النقد الادبي البسيكولوجي ولكنه اراد وضع أسس له ، ذلك النقد الذي يقوم به الطبيب النفساني بدرس دماغ المبدع وتحليل ما ابدع . ومن رأيه ان هذا النقد يختص برجل العلم وحده لان الغاية من النقد تفسير الكتاب بالكاتب او الصورة بالمصور ووضعه في مرتبته من حيث الجمال وعلم الجمال . وعلم الجمال فرع من البسيكولوجيا يخضع مثلها للقواعد فيها . فالقصة او الرسم او النقش عمل او على حد تعبير زولا نفسه «زاوية من الطبيعة ينظر اليها من خلال المزاج » ومن احق من رجل العلم باقامة الصلات بين هذه الزاوية ومزاج الناظر اليها، اي بين العامل والعامل في تركيبه جسداً وعقلاً ليحلل الاسباب الشخصية التي اوحت به، مستعيناً بعلم وظائف الاعضاء . على درس تكيفات الذهن في طريق الخلق والابداع .

قد يعترض ان النقد الفني لا يكفيه ذهن متعود على ابحاث النفس ووظائف الاعضاء . بل يستلزمه ايضاً علماً واسعاً بالموضوع وهذا لا يتسنى لأي كان . نعم ان الحكم على عمل فني كصورة

او قطعة موسيقى او شعر او غير ذلك يقتضي معرفة واسعة بالرسم او الحفر او الانشاء وما اليه ولكن الطبيب الملم بهذه الفنون او ببعضها يكون اقدر من سواه على النقد العادل المحكم الصحيح واني وان لم اكن على رأي الدكتور تولوز من حصر النقد الادبي في الاطباء. فلا انكر ان النقد فن مستحدث لم يتناوله الاقدمون، فهو اذن ذو آفاق جديدة يستطيع الطبيب ان يبسط جناحيه لينفض جوّها ويسبر مجاهلها فيرسل الى صميم الكتّاب بصره وينفذ في معانيه كما تنفذ الاشعة المجهولة في الاجسام، وكما يوجد طبيب شرعي له مكانه وضرورته يحسن ان يكون هناك طبيب ادبي يحلّل الادب في بوتقة كيميائه، لان الطبيعة والاحداث النفسانية وقوى العقل واعمال الفن كلها تحتاج الى ان تدرس درساً علمياً مبسوطاً.

ولا اريد الرجوع بالقارىء الى تاريخ النقد ونشأته وتطوره وحروب الكلام التي اثيرت من حوله في الغرب، وانقسام النقاد وتباين طرقهم، فذلك خارج عن موضوعي. ولكن في هذه الايام التي كثر فيها الخلط وضاعت مقاييس الامور وتعددت مذاهب الادب واصبح النقد مسيَّراً في كثير من الاحايين بالعاطفة فلا يعرف القارىء من يصدق وبمن يؤمن. اصبح من الضروري — وقد اخذنا الى النقد سبيلًا — ان نجعل عليه مسحة علمية تكفل له التماس الحقيقة من مظانها. فاذا ما تدخل الطبيب في نقد الادب فلكي يتفحص الاذهان كما يتفحص الابدان فلا تنحصر دراسة العمل الفني او مطالعة كتاب ما بالشعور باللذة او الملل. بل تتعداه الى تشخيص حالة الكاتب والفنان الدماغية واظهار قيمة بدعته وما فيها من نفع ينتظر او خطر يجب تلافيه قبل ان تسمم به روح القارىء..

ولا يغرب عن بالنا ان النقد العلمي قليل في ادبنا العربي. واذا وضع له السلف — كقدامة وابن رشيق وابي الحسن الآمدي وغيرهم — قواعد فهي قواعد خاصة غلبت فيها على مذاهبهم الافكار الجزئية والمباحث الضيقة من نقد المفردات والالفاظ وسرقة المعاني، لولا ما نجد عند الجرجاني والمطرزي وابي الفرج الاصبهاني في تضاعيف الاغاني من طلائع النقد الصحيح. وقد يجيء النقد عرضاً وفيه شيء من السخرية والدعابة كما كان يفعل الجاحظ. اما الذين الموا به على الطرق الاوربية المستحدثة فلا اجد منهم سوى الشدياق واليازجي بالأمس القريب. وهناك طائفة من الادباء المحدثين اخذت تستشرف هذا النقد المبني على المبادىء الجديدة ولكنها لا تزال في خطواتها الاولى.

والي

اعتقد ان علم وظائف الدماغ كما انتهى اليه الفسيولوجيون في اواخر القرن الماضي يعبد لنا الطريق للتعرف الى بعض حالات الذكاء والتمييز بينها. وربما حان لنا ان نتساءل اذا كان الشاعر حقيقة — والمراد بالشاعر هنا رجل العمل، الذي يبتكر ويبرز الى الوجود شيئاً جديداً قد يكون غناءً او رسماً او قصة او مأساة او اكتشافاً في الصناعة او العلم — هو اسمى في نظر الناس واعجابهم من الذي يأخذ على عاتقه انتقاده والحكم عليه مؤثراً على الابتكار وظيفة التحليل والمقابلة بين منتوجات الفكر لتفهمها واستخلاص افكار عامة عنها.

هذا ضرب من الموازنة بين اللاوعي والوعي او البداهة والروّية.

عندما القى بيار لوتي رده على خطبة استقباله في الندوة الفرنسية (الاكاديمي) حملت الجرائد عليه حملة نكراء. لانه تجرأ فقال: انه لا يفتح كتاباً ولا يطالع ابداً. على انه في اعترافه هذا وضع الحد الفاصل بين الطريقتين، واظهر ان شاعريته لا تخضع لغير مزاجه، ولا تعبأ بمذاهب الادب ومناهج الادباء ولا تتقيد بوحي مدرسة او معلم، فهو يكتفي بأن يعيد الى العالم بأجلى بيان والطف اسلوب التأثيرات التي يتلقاها من العالم.

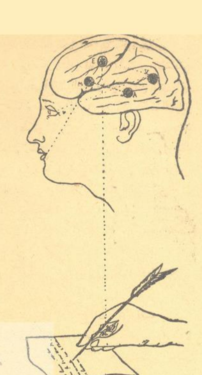
وليس لوتي الوحيد الذي استطاع ان يُغني نفسه بنفسه، فقد ذكر كلاريتي في كلامه عن هيغو في منفاه الطويل انه لم يكن في مكتبته شيء يذكر فقلما كان هذا الشاعر العجيب يطالع بل كان يكتفي بأحاسيس الكون وعناصر الاهتزازات القوية فيتملأها مصافحة وعناقا ليكبّرها دماغه ويخرجها بشكل هائل فيه روعة الابداع وقوة الالوهة.

وكان زولا ايضاً قليل المطالعة او بالاحرى لم تكن مطالعته ليحشو رأسه بالمعارف ويقدم وقودا لآلته الدماغية بل يستمد الشواهد اللازمة لدعم ارائه.

وكذلك بلزاك لم يترك له عمله العظيم متسعاً من الوقت لقراءة ما يكتبه سواه. هؤلاء كلهم لم يكونوا يهتمون بنتاج الآخرين، وطريقهم في الخلق واحدة فهم كالمصورين يستقون مما حولهم ومن الطبيعة رؤىً ليرجعوها محلاة بالفن مدموغة بطابع مزاجهم الخاص.

هؤلاء رجال البداهة تختلف طريقتهم عن النظريين المتفلسفين الحاملين في رؤوسهم اكداساً من المعارف المختلفة مثل رنان، وسنت بف، واناتول فرنس، ولمتر، وبارس وسواهم. ولو اردنا ان نبحث في العربية عما يقابل هذا، لتمثل لنا البحتري الشاعر المطبوع والمعري المفكر الفيلسوف وحسبنا ايضاحاً الرجوع الى بعض مبادىء فسيولوجيا الدماغ وهذا الرسم البسيط الذي تعرّف اليه القارىء فيما مضى (راجع المقال السابق) شكل (١)

لنفترض ان امامنا دماغ البحتري في ساعة اتاه فيها نعي رجل خطير فاراد ان يرثيه فماذا يكون؟



ان الاهتزازات العصبية التي احدثها هذا النبأ تأخذ طريقها عن اداة السمع حتى نهاية العصب في قشرة الدماغ في A مركز السمع وبما ان هذه المنطقة لا تزال شبة عذراء اي قليلة الاثاث الذي يجلبه الدرس فالاحساس الوارد عليها يحتفظ بكل طراوته وقوته الاولى ويحاول ان يصير الى عمل — كما هي العادة في كل احساس طارىء — ليخرج من الدماغ كما تخرج هذه الاشياء من دماغ الشاعر في شكل انشاد او لغة مكتوبة.

وفي اللحظة عينها التي يصل فيها هذا الاهتزاز الى الدماغ تشرق رؤيا جديدة تضيء نواحي تلك المنطقة فتستحضر الاشارات والرموز والاحرف والكلمات التي نستعملها عادة للتعبير عما يؤثر في حواسنا.

وعلى هذا الوجه يتمشى الاهتزاز العصبي من A الى E مركز الكتابة او M مركز النطق فاذا بالشاعر يخط على القرطاس او ينشد التأثير الذي تلقاه بكل جماله الاول وكل حرارة قوته المتدفقة فيطلع علينا بهذه القصيدة

انظر الى العلياء كيف تضام ... ومآتم الاحساب كيف تقام

وهي قصيدة جميلة ولكنها كسائر مراثي الشعراء تجمع بين ذم الدهر ومدح الميت ونعي المجد والشجاعة والكرم واستدرار الغيث على قبر الراحل الى آخر ما هنالك من الصور والمعاني التي تمر في مخيلة الشاعر في حلة لا تخلو من الجمال الطبيعي وفيها من روعة الموسيقي الشيء الكثير.

ولنفترض الآن ان نبأ كهذا طرق مسامع المعري فان احساساً شبيهاً يتمشى الى A ولكنه لا يجد هناك منطقة عذراء او شبه عذراء بل بقعة حافلة بالسكان لكثرة ما تجمّع فيها من المبادىء الفلسفية والتذكارات والمعارف وعلوم الحياة التي كان يُعني بها المعري فيعيقه هذا الزحام عن السير ولا يبلغ منطقة النطق — الوحيدة التي يمكنه الخروج منها لان المعري اعمى لا يكتب — الا بعد ان توقظ الرؤيا من حولها اشياء كثيرة وتذكارات مماثلة واحاسيس قديمة تمت الى كل سبب من اسباب الحياة والموت فيطلع علينا الشاعر بقصيدته الخالدة

غير مجد في ملتي واعتقادي ... نوح باك ولا ترنم شاد

والفرق واضح بين القصيدتين

ويضيق بنا المجال لو أردنا ان نكثر من الامثال في هذا الموضوع وخلاصة القول ان لكل من الاتجاهين الابداع البديهي والفلسفة التأملية عظمته واذا رجعنا الى النقد وجدنا ان كثيراً من كتاب الغرب بدأوا به حياتهم الادبية ثم انصرفوا الى كتابة القصص والروايات وما شاكل كأن صوتاً خفياً كان ينذرهم ان التفلسف ادنى من التوليد

على ان النقد في حد ذاته عزيز المطلب جزيل الفائدة وهو فتح جديد في الفكر البشري بخلاف الفن فهو قديم واعظم مثّال اليوم لا يفوق فيدياس واعظم شاعر لا يكسف اوميروس

نعم قد نجد حيناً بعد حين في الصحف والمجلات نقداً لا يصل في جوهره الى مرتبة الموضوع المنقود ولكن هذا لا يدل على فساد النقد بل على ندورة النقاد الحقيقيين. كما ان النقّاد الخليق بهذا الاسم قد ينزل احياناً من القمة التي هو فيها فيتبع هواء النفس ارضاءً لهذا او طعناً في ذاك.

على كل فان الجمع بين الطريقتين اجدى واخصب وبما ان الوظيفة تخلق العضو فالناقد الذي يريد الخلق والابداع لا بد ان يصل الى غايته فينتقل من الحكم على كتابة الآخرين الى الانتاج وتقديم ما يكتب غذاء لغيره من النقاد الى ان يأتي يوم يظهر فيه عبقري جبار جهول ظلوم فيبهر الناس بقوته ويخلق من حوله جنداً من النقاد ينصرفون الى تفهم هذه الاعجوبة التي ولدتها الايام.

نقولا فياض

في سبيل رسالة الاديب

☆



مجلة الاديب ، ذات رسالة قومية عربية، حملتها الى قرائها طوال خمسة اعوام ، ذاقت خلالها فخر الحرمان الكثير ، في بلد ، يفاخر سائر الاقطار العربية ، بانه حمل لها مشعل المعرفة والنور ، وهو على ذلك ، ينوء بحمل مجلة شهرية ثقافية واحدة!

ولقد قام منشىء الاديب ، في هذا الجو المكفهر البغيض الذي «يودون» ان تعيشه الاديب مادياً، فضحى في صمت واطراد ، وفي جو بعيد عن الضجيج والدعوى والمفاخرة ، بتضحيات مادية تعجز، بل لا تقبل عليها جماعة ، بله الرد .

فأمام هذا النضال في سبيل العقيدة القومية العربية، التي هي لكل منا رسالة مقدسة ، رأت « اسرة الاديب » ان تشرك القراء بواجبهم في حمل بعض العبء، المادي على الاقل، من اعباء هذه الرسالة، التي كاد ينوء بحملها منشىء المجلة وحده. فقررت ان تجعل الاشتراك على نوعين: اشتراكاً عادياً، واشتراك الانصار ونعني بالانصار انصار الرسالة الواعية ، والفهم القومي ، فالاشتراك العادي يحتفظ بقيمته المألوفة. واشتراك الانصار، ١٢٠ ليرة لبنانية سورية كحد اعلى في سوريا ولبنان. و١٤ جنيها مصريا او استرلينيا او ٦٠ دولاراً، كحد اعلى في خارج سوريا ولبنان .

ان « اسرة الاديب » لتأمل ان يجد هذا النداء ، صداه البعيد في نفوس الذين في وسعهم تلبيته ، وهي تطلب من الشباب القومي العربي ، الدعوة اليه ، وذلك لمناصرة مجلتهم التي هي لسان دعوتهم، لتتمكن من متابعة سيرها، في اداء الرسالة الغالية، هذه الرسالة التي تقف اليوم، وجهاً لوجه اما تيار يزخر بمختلف النزعات، تعاضده مختلف الجهات والهيئات والجماعات . و«الاديب» وحدها التي تضطر الى مجابهته بوسائلها هي ، لا بوسائل الغرباء و« المستغربين » .

وستظل « الاديب » كالعهد بها ، سليمة لا تنزل الى حقل الحزبيات الشخصية المحلية ، فلا تحمل المباخر لزيد وعمرو في سبيل تأييدها من زيد أو عمرو ، بل تبقى فوق هذا كله، رسالة الجيل العربي الواعي؛ رسالة التوجيه في حقل القومية العربية

الا: انها رسالة نظيفة مخلصة ، ستستمر على نضالها في سبيل العقيدة الحرة!

وستظل برغم كل ما تلقى، تصدر عن هذا البلد –ايضاً– لبنان !

« اسرة الاديب »

مع الجاحظ في حياته وادبه

بقلم عبد الملك عبد اللطيف نوري

★

لشد ما يؤلمني ان ارى المتأدبين بصورة خاصة وبعض ادبائنا قد عكفوا في الحاح على مناهل الادب (الغربي وحده)، يستقون منه موضوعاتهم ويستمدون منه قوالب افكارهم وصيغ تعابيرهم. على انني لا اعيب عليهم ذلك ، بقدر ما اعيب عليهم صدوفهم عن كنوز ادبنا العربي وآياته الخالدات وعن كثير مما هو حسن وجميل في هذا الادب الحي ، العظيم ..!

فان الانصراف للادب الغربي وحده ، والانقطاع التام عن الادب العربي يخلق جيلا هزيلا من الادباء او اشباه الادباء ، لا صلة تربطهم بالعالم الذي نحيا فيه ونتنفس في اجوائه ... فلا هم يستطيعون التحليق الى منزلة ادباء الغرب والاتيان بروائع كروائعهم ولا هم يستطيعون ان يأتوا بادب عربي جديد ، متين البناء ، قوي العبارة ، بليغ الاسلوب.

ان انصرافهم هذا عن غرر الادب العربي، وايثارهم الانقطاع التام الى آثار الغربيين، لمما يحدث بينهم وبين واقع الحياة التي يحيونها ثغرة واسعة ، ويصعب عليهم اجتيازها ، وبالتالي لا يستطيعون ان ينتجوا غير ادب هزيل ، لا تقدر له الحياة الا لحظات خاطفة من عمر الزمن ..!

انا لست اريد بهذا ان احث الاديب العربي على الابتعاد عن آداب الغرب والامتناع عن تذوقها. كلا... فانا ممن ينهلون من تلك المناهل الغربية كل يوم ... ولكن ما اعيبه على بعض ادبائنا هو انصرافهم التام الى ذلك الادب وحده ، حتى ليكاد لا يوجد عندنا غير نوعين من الادباء: اولئك الذين انكمشوا على القديم وعاشوا بين دفات الكتب الصفراء ، ينظرون الى الحياة من وراء السنين الغوابر ... منعزلين عن الواقع عزلة مميتة. واولئك الذين انصرفوا الى ادب الغرب وتركوا وراء ظهورهم تراثنا العظيم ،غير منتفعين به ولا حافلين بنفائسه وهم كذلك منعزلون عن الواقع عزلة مميتة ايضاً لا يشذ عن هذين النوعين الا القليل القليل. وفي يقيني ان كلا الطرفين على خطأ ، وان الاديب الحق الذي يستطيع بجدارة ان يكون من مهندسي النفوس البشرية ، وان يترك للعالم ادباً خالداً على مر العصور ، هو الذي يرث خلاصة ثقافات الاجيال ويزاوج بين آيات الشرق وآيات الغرب في اسلوبه وفنه ، ويستمد موضوعاته من واقع الحياة التي يحياها. لا يرتفع عن الحياة الا ليرفعها ، اما الانفراد في برج من عاج ، او الانهزام من ميدان الحياة ، فلم يكن في يوم من الايام من صفات الادباء الذين يبقى ذكرهم حياً في ضمير الانسانية ابد الدهر ..! لقد كان اديبنا الجاحظ من هؤلاء الخالدين. وكان من ابرز الناثرين في تاريخ الادب العربي ادى لأهل زمانه ومن جاء بعدهم من الخدمات الادبية والعلمية ما لا يستطيع ان يؤديه الا اعظم الادباء شأناً وارفعهم منزلة ، وكان الجاحظ من هؤلاء في الطليعة!

عاش في الحياة ، وكتب للحياة ، ولم يكن في يوم من الايام بعيداً عنها ،خارج نطاقها. . كان ابداً يكتب وهو في وسط المعمعة البشرية. ولم يكف عن الانتاج حتى في اخريات ايامه... فلقد ألف كتابه « البخلاء » وهو على فراش المرض يعاني من متاعب الشلل والنقرس ما يعاني. فكان من الادباء القلائل الذين عمروا طويلا واحتفظوا بشعلة ذهنية وقادة حتى آخر العمر ، مثله مثل غوتيه الشاعر الالماني العظيم ، واناتول فرانس الكاتب الفرنسي الشهير ، وتولستوي الكاتب الروسي الفيلسوف وغيرهم من اعلام الغرب.

وانّنا لنستطيع ان ندرك مدى تأثر الجاحظ بالحياة الاجتماعية التي عاش خلالها ، لو القينا ولو نظرة بسيطة على عناوين بعض الكتب والرسائل التي وضعها ،وقد وضع ما يقرب من مئة وستين كتاباً ورسالة—فان من تآليفه العظيمة : كتاب البيان والتبيين ، وقد قال عنه المسعودي « . . . انه جمع فيه من المنثور والمنظوم وغرر الاشعار ومستحسن الاخبار وبليغ الخطب ، ما لو اقتصر عليه مقتصر لاكتفى به » ووصفه ابن خلدون بانه احد اركان الادب ، وكان للادب فيما حكى اربعة اركان—كتب—يقوم عليها . ومن تآليف الجاحظ العلمية : كتاب الاوفاق والرياضات وكتاب الحيوان ورسالة في الكيمياء وكتاب الزرع والنخل والزيتون والاعناب ،وكلها تنبىء عن اطلاعه الواسع على علوم زمانه وتمكنه منها . وله في الحياة الاجتماعية كتاب حيل اللصوص وكتاب المكدين وكتاب ذم الزنا وكتاب السلطان واخلاق اهله ورسالة الشارب والمشروب ورسالة في الكرم وكتاب المعاد والمعاش وكتاب الملوك والامم السالفة والباقية وكتاب البخلاء . وكل هذه الكتب وغيرها مما لم اذكره ، تدل دلالة واضحة على ان الجاحظ كان من اهل زمانه ولكنه فاقهم في انه كان باستطاعته ان يسجل خواطر ذلك الزمن وما يجيش فيه من علوم واحداث ونوادر باسلوب ادبي رائع ، تمتزج فيه الحكمة بالفكاهة ويخرج منه القارىء بمتعة ذهنية كبيرة قلما يحصل عليها من غير الجاحظ . والواقع ان للجاحظ اسلوباً ، لم يستطع ان يجاريه به احد ، اسلوباً هو الغاية في الجودة والاقتضاب (اقتضاب التعبير لا الافكار) ، حتى يبلغ من اقتضابه احياناً انه يتعقد ويعسر على الفهم—وهذا في احوال نادرة . ولكن اغلب ما كتب ، سهل سائغ تسري النكتة في جمله القصيرة المقتضبة المحشوة بالمعاني ، سرياناً حلواً من غير تكلف او تصنع . وانما النكتة في طبع الجاحظ يرسلها في كتاباته ارسالاً رشيقاً ، وهي من لوازم ادبه وفنه ، فالجاحظ عدا عن انه يحيط قارئه بموضوعه يزوده بمتعة منعشة ، متصلة دونها كل المتع !

وعلى هذا فان اسلوب الجاحظ يتميز بالاقتضاب اولاً—ككل اسلوب بليغ في العربية ويتميز بالفكاهة ثانياً .

ولكيما يتسنى لمن يقرأ هذا المقال ان يلم بصورة واضحة عن اسلوب الجاحظ الادبي ،اذكر النادرة التالية التي نقلت عن الجاحظ نفسه . قال : سألني بعضهم كتاباً بالوصية الى بعض اصحابي ، فكتبت له رقعة وختمتها ، فلما خرج الرجل من عندي فضها فاذا فيها—« كتابي اليك مع من لا اعرفه ولا اوجب حقه ،فان قضيت حاجته لم احمدك وان رددته لم اذمك . » فرجع الرجل اليّ ، فقلت له : كأنك فضضت الورقة . فقال : نعم . فقلت : لا يضيرك ما فيها فانه علامة لي اذا اردت العناية بشخص . فقال : قطع الله يديك ورجليك ولعنك . فقلت : ما هذه ؟ فقال : هذه علامة لي اذا اردت ان اشكر شخصاً .

وبعد فان للجاحظ رأياً وجيهاً في الضحك ، يبرر به كثرة اتيانه بالنكت فيما كتب ، فهو يقول في مقدمة كتابه « البخلاء » مخاطباً احد عظماء زمانه ، لم يذكر اسمه ، يقول : « ولك في هذا الكتاب ثلاثة اشياء — تبين حجة طريفة او تعرف حيلة لطيفة او استفادة نادرة عجيبة . وانت في ضحك منه اذا شئت وفي لهو اذا مللت الجد . . . » ثم يصف نقيض الضحك ومساوئه قبل ان يأتي عليه ، فيقول : « واذا كان البكاء الذي ما دام صاحبه فيه فانه في بلاء ، وربما اعمى البصر وافسد الدماغ ودل على السخف وقضى على صاحبه بالهلع وشبه بالامة اللكعاء وبالحدث الضرع ، كذلك ، فما بالك بالضحك الذي لا يزال صاحبه في غاية السرور الى ان ينقطع عنه سببه ؟ ولو كان الضحك قبيحاً من الضاحك وقبيحاً من المضحك ، لما قيل للزهرة والحبرة والحلي والقصر المبني — كأنه يضحك ضحكاً . وقد قال الله جل ذكره (وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا)فوضع الضحك بحذاء الحياة ووضع البكاء بحذاء الموت . وانه لا يضيف الله الى نفسه القبيح ولا يمن على خلقه بالنقص . وكيف لا يكون موقعه من سرور النفس عظيماً ومن مصلحة الطباع كبيراً ،وهو شيء في اصل الطباع وفي اساس التركيب ، لان الضحك اول خير يظهر من الصبي وقد تطيب نفسه وعليه ينبت شحمه ويكثر دمه الذي هو علة سروره ومادة قوته ، ولفضل خصال الضحك عند العرب تسمي اولادها بالضحاك وببسام وبطلق وبطليق . وقد ضحك النبي صلى الله عليه وسلم ومزح ، وضحك الصالحون ومزحوا ، واذا مدحوا قالوا—هو ضحوك السن وبسام العشيات ، وهش الى الضيف وذو اريحية واهتزاز ، واذا ذموا قالوا — هو عبوس وهو كالح وهو قطوب وهو شتيم المحيا وهو مكفهر ابداً وهو كريه ومقبض الوجه وحامض الوجه وكان وجهه بالخل منضوح . وللمزح موضع وله مقدار متى جازهما احد وقصر عنهما احد ، صار الفاضل خطلاً والتقصير نقصاً ، فالناس لم يعيبوا الضحك الا بقدر ولم يعيبوا المزح الا بقدر . ومتى اريد بالمزح النفع وبالضحك الشيء الذي جعل له الضحك ، صار المزح جداً والضحك وقاراً .

من هذه القطعة الصغيرة نستدل على رأي الجاحظ في الضحك من انه نافع ومفيد ومستحسن الوقع في سمع الناس اذا كان بقدر معين لا يجوزه ولا يتعداه. ومن هنا ايضاً نستدل على صفات اخرى تميز اسلوب الجاحظ في الكتابة. فهو عندما يريد البرهنة على حقيقة يعتقد بصحتها، يحشد للبرهان جمعاً كبيراً من الحجج المقنعة. وعليه فهو لا يلجأ للاوتار العاطفية في نفس القارئ يضرب عليها ما يشاء من الالحان، وانما هو يلجأ الى عقل القارئ ومنطقه، ولكن بعبارات ادبية خلابة، تخلو من جفاف المنطق والعلم. وكذلك نجد في هذه القطعة كما نجد في غيرها مما كتب، ابتعاداً عن السجع الا في مواضع قليلة، مع الاحتفاظ التام بموسيقى الالفاظ.

واذن فان اسلوب الجاحظ الادبي يمتاز علاوة على بلاغته وسريان النكتة فيه، بالحجة المنطقية وبقلة الجمل المسجوعة وبموسيقى لفظية رائعة وتسلسل فكري محبوك حبكاً متقناً.

هذا ما وسعني ان اورده في هذه العجالة عن ادب الجاحظ واساليبه في الكتابة، واما عن حياته فلا بأس من ان اذكر نبذة ولو موجزة قبل ان انهي هذه المقالة.

لقد اختلف الرواة في تاريخ ولادته. ولكني لست في موقف المحقق التاريخي، فاثبت رواية وانفي اخرى، وانما حسبي ان اروي ما روي عن الجاحظ من انه قال عن عمره: اني اسن من ابي نؤاس بسنة، ولدت في اول سنة ١٥٠ هجرية وولد في آخرها.

وكانت ولادة الجاحظ في البصرة وقد مضى على تأسيسها يومذاك ١٣٦ سنة. وكان اسمه ابا عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزاره، الليثي الكناني، وهو اسود اللون عربي الاصل، لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه، وكان يلقب احياناً بالحدقي لنفس السبب وكانت نشأته ايضاً في البصرة، نشأ فيها يطلب العلم ويغشى مجالس اهله، وقيل انه كان يعاني شظف العيش اثناء طلبه العلم وكان يتاجر بالخبز وبالسمك في نهر سيحان. وقيل ايضاً انه كان يطلب العلم في غير البصرة من المدن الاسلامية وقد سافر من اجل ذلك الى مصر، ثم استوطن بغداد عندما جاوز الخمسين من عمره، وكانت شهرته قد سبقته اليها، ومما يعرفه المؤرخون عنه انه عاش عيشة ترف وبذخ مذ ذاع صيته، فعينت دار الخلافة له في بغداد راتباً شهرياً منتظماً فضلاً عن الهدايا والمنح التي كانت تنهال عليه من علية القوم في كل مناسبة. بل واننا نستطيع ان نستدل على عظم منزلته الاجتماعية وسعة عيشه من الرواية التالية:— دخل عليه بعض اخوانه فقال له: كيف حالك يا ابا عثمان؟ فقال الجاحظ: سألتني عن الجملة فاسمعها مني واحداً واحداً— حالي ان الوزير يتكلم برأيي، وينفذ امري، ويواتر الخليفة الصلات الي. وآكل من لحم الطير اسمنها والبس من الثياب الينها، واجلس على الين الطبري، واتكئ على هذا الريش، ثم اسير على هذا حتى يأتي الله بالفرج. فقال الرجل: الفرج ما انت فيه. فقال: بل احب ان تكون الخلافة لي ويعمل محمد بن عبد الملك بامري، ويختلف الي، فهذا هو الفرج!

ثم ولاه الخليفة ديوان الرسائل وكان هذا الديوان لا يعهد به الا لذوي الكفاءة العلمية، والمقدرة الادبية. ولا عجب فان الجاحظ كان الى جانب تضلعه باللغة مطلعاً على فلسفة اليونان وحكمة الهند وعلوم الفرس، وقد كان— كما يستنتج البعض من كتاباته— يتقن اللغة الفارسية ايضاً. ولكنه لما رأى نفسه في ذلك المنصب محسوداً من الكتاب ممقوتاً منهم. يدسون له الدسائس ويشون به الوشايات، اعتذر للخليفة واعتزله بعد ثلاثة ايام من تعيينه فيه، ايثاراً للراحة وهدوء البال.

ولقد مارس الجاحظ قرض الشعر ايضاً ولكنه لم ينجح فيه ولم يصل به الى ما وصل بالنثر، ولذا لا يمكن حشره باي حال من الاحوال في زمرة الشعراء..

لقد بدأ مرضه سنة ٢٤٧ هـ. وبقي مفلوجاً ثمانية اعوام حتى وافاه الاجل سنة ٢٥٥ هـ. ولعل وصفه لحاله اثناء مرضه ابلغ من كل وصف. فهو يقول لرسول الخليفة المتوكل وقد جاء يخبره برغبة الخليفة في ان يُحمل اليه. يقول:— ما يصنع بامرئ ليس بطائل، ذي شق مائل ولعاب سائل وفرج بائل وعقل زائل ولون حائل؟

وقال ابو العباس المبرد: عدت الجاحظ، فسمعته يقول— «انا من جانبي الايسر مفلوج، فلو قرض بالمقاريض ما علمت، ومن جانبي الايمن منقرس، فلو مر بي الذباب لألمت، وبي حصاة لا ينسرح لي البول معها، واشد ما علي ست وتسعون. يعني عمره.

وقيل انه لم يمت ميتة اعتيادية، نتيجة مرضه الطويل، وانما وقعت عليه مجلدات العلم وهو في تلك الحال من المرض والهزال فقضت عليه.

ولكن مهما يكن نصيب هذا القول من الصحة، ومهما اتهمت مجلدات العلم بالقضاء عليه. فان العلم والادب قد خلد اسمه بحروف من نور تشعّ وهاجة على مدى الاجيال..

بغداد   عبد الملك عبد اللطيف نوري

صفحة من حياة عظام الفنانين • بقلم محمد الشريف

موتزارت

ذلك التعس

☆

هل استمعت ايها القارىء الى تلك الالحان التي غنتها طائفة من العباقرة، وهذبت روحك بموسيقاهم المرهفة ذات الاتجاهات المختلفة والفكر المتباينة في النفسية والغاية والاتجاه الفلسفي ؟ وهل تابعت افكارك وروحك ما تصوره تلك القطع الموسيقية التي خلدها على الدهر هؤلاء العباقرة اذ استطاعوا ان يعبروا بها عن بؤسهم وشقائهم طوراً وعن سعادتهم واحلامهم احياناً وربما عن كفرهم ومروقهم طوراً آخر . انهم ابطال فيما خلفوه لنا من تراث وعظائم لانهم عرفوا كيف يستحوذون على اعجاب العالم واكباره بعد مماتهم ، هذا العالم الذي نبذهم وأنكر قيمهم يوم كانوا أحياء يرزقون .

وقد أورد لنا التاريخ اسماء فئة من الفنانين شقت طريقها في الحياة معتمدة على موسيقاها فلاقت في سبيل ذلك اشد الالم وابلغ العذاب . ومن هؤلاء الموسيقار العظيم موتزارت الذي سجل كغيره من الموسيقيين انتصارات عظيمة في عالم الموسيقى ما زالت الى يومنا هذا محتفظة بطابعها العالمي الرائع .

فولفانج أماديوس موتزارت بطل الحب والجمال وبطل البؤس والشقاء ، وأية حياة هي حياته ؟ . . كيف عاش ؟ . . . وأين عاش ؟ كل ذلك سأحدثك عنه بموجز عرضت فيه نتفاً اشتاتاً من تلك الحياة الفذة .

ولد موتزارت في مدينة « سالسبورغ » بألمانيا في ٢٧ حزيران سنة ١٧٥٦ وكان ابوه ليوبولد موتزارت رجلا فقيراً معدماً يعمل على تأليف القطع الموسيقية والغنائية وتقديمها الى المسرح لقاء مبلغ من المال قد يسد في بعض الاحيان حاجة اسرته الصغيرة المكونة منه ومن امرأته وولديه فولفانج ونانيت . وقد لبث ابوه زمناً يلحن ويؤلف وينسخ القطع الموسيقية ولاقى في هذا السبيل الواناً وضروباً من المشقة والهوان والعوز . وكانت زوجه لا تقل عنه اهتماماً بأموره ، بل تعاونه اكثر الاحيان في نسخ القطع والتآليف ، الى ان جاء يوم اصبح فيه ليوبولد رئيساً لفرقة موسيقى حاكم المدينة وكان هذا المنصب حلمه الوحيد ، فأزاح عن صدره ما يثقله من هموم الاسرة وأقبلت عليه الدنيا بعد ادبار ، وبدأت حاله تتحسن شيئاً بعد شيء ، ولم يلبث طويلاً حتى انصرف نحو ولديه يلقنهما اصول الموسيقى . وكان اهتمامه بولده فولفانج كبيراً لما ادركه من حدة ذكائه واتقانه اصول الموسيقى وقراءته رموزها وحفظها بسرعة غريبة وهو بعد ما زال في الثالثة من عمره . ولأروين لك عنه قصة عجيبة اذ أحب ابوه ان يداعبه يوماً فاحتضنه امام البيان واخذ يعزف له قطعة من تأليفه . وما كاد ابوه ينتهي من العزف حتى انسابت انامل موتزارت الصغير تعيد اللحن ببراعة ، وكانت الاصوات تصدر عن العزف متناسقة قوية مرددة اللحن الذي عزفه أبوه كأنها صدى له . فبهت الاب وتماسكت الام وقد وثبت عيناها من محجريهما بينما لبثت شقيقته تحدق فيه مشدوهة . وكان ابوه أسرع الجميع الى التعبير عن اعجابه فانهال على ابنه يوسعه قبلاً تنضح بالحنان الجارف والعاطفة المشبوبة ، بينما وجدت الدموع طريقها الى عيني والدته من شدة الفرح في الوقت الذي كانت فيه الحيرة مرتسمة على وجه شقيقته نانيت وهي بين مكذبة ومصدقة . ومنذ ذلك اليوم أصبح اهتمام الوالد بموتزارت عظيماً فصار يدربه ويضفي عليه ما يعرف من الموسيقى ويلقنه مع اخته الدروس العملية والنظرية ويقضي معهما الاوقات الطويلة في سبيل ذلك .

ومر عام وبدأ نجم موتزارت الصغير يتألق في سماء الفن ، ولم يكن يلمس وجوده الحقيقي ويحس به احد سوى ابيه وشقيقته فكان الاطمئنان يجد سبيله الى قلبيهما نحوه وهو يشق طريقه الى الامام ، ذلك الامام اللانهائي في عالم الفن والروح . وكان فولفانج يلتهم المعلومات الموسيقية التهاماً واصبح بين عشية وضحاها أحرص من

والده عليها وأكثر دأباً على التزود منها والوقوف على اسرارها .

وأخاف ابويه حسد الناس لابنهما فيما اذا عزف امام الجمهور ورأوا فيه ذلك العجب ، نعم وأي شيء اعجب من صبي لم يتجاوز الخامسة من عمره يعزف من القطع الموسيقية ما يعجز عنه أعلام الموسيقى في عصره .

سمعه أبوه مرة يعزف قطعة جميلة كانت أوزانها مقتبسة ، فانتظره حتى أنهى عزفها واقترب منه والاعجاب مالك عليه حسه وهمّ بأن يسأله عن مؤلفها ، ولكن موتزارت الصغير كان أسرع من والده بالسؤال فقال : « ما رأيك بهذه القطعة يا أبت ؟ » فأجابه أبوه : « انها عظيمة ، عظيمة جداً ، فلمن هي ؟ » — انها من تأليفي يا أبت ... وشرد الاب واضطربت حواسه ، هل هذا ممكن ... أيؤلف ابنه مثل هذه القطعة ؟ لا . ان ذلك رابع المستحيلات ، ولكنها الحقيقة .

في مساء اليوم ذاته عرض الاب ابنه على زملائه فعزف لهم قطعته الحديثة وما انتهى من عزفه حتى انكمش على نفسه فزعاً خائفاً اذ تعالت صيحات السامعين بين مشدوه ومأخوذ وصائح ومقترح وسائل ومجيب ، وقطع عجب الجميع وحيرتهم «موليير» موسيقار ذلك العصر حين اقترب من موتزارت الصغير وقبله بحنان ابوي ثم نهض واستدار نحو صديقه ليوبولد وسأله مقترحاً : « لم لا تذهب به الى ميونيخ فتقوم باحياء حفلات موسيقية تكسبه تشجيع الجمهور وولاءه ؟ وربما تمهد له بذلك الطريق الى الشهرة والخلود .. »

رحل ليوبولد موتزارت مع ابنه وابنته بعد ان باع مؤلفاته الى فينا عاصمة النمسا، وكان ابنه قد أكمل السابعة من عمره سنة ١٧٦٢ وحظي موتزارت الصغير بالعزف امام امبراطور النمسا فرنسوا الاول فلم ينل من التشجيع شيئاً يذكر حتى من طائفة الامراء والنبلاء انفسهم . ومرض فولفانج هناك واشتدت عليه وطأة المرض ولكنه سرعان ما شفي فغادر مع ولديه فينا قاصداً باريس يرافقهم في رحلتهم هذه البارون جراين الذي اعجب بالصغير وأحب ان يسدي اليه « خدمة صغيرة » : وكانت مرافقته اياه الى فرساي حيث قدمه الى ملك فرنسا لويس الخامس عشر الذي اعجب بدوره بالصغير واثنى عليه اشد الثناء . وكان ذلك كافياً لان يغمر ابوه بالبشر فراودته منذ ذلك الحين الاحلام الحلوة وداعبت افكاره خيالات شتى وأيقن ان السعادة قد فتحت له ذراعيها وان الارض ترقص من تحته مرحا . ثم لم يمض زمن طويل بعد ذلك حتى كانت لندن وجهة موتزارت الجديدة بعد ان حاز اعجاب الشعب الفرنسي برمته

وفي لندن عزف موتزارت امام الملك جورج الثالث ملك بريطانيا الذي راعه ذلك النبوغ المبكر وتلك العبقرية الخلاقة . وهكذا اخذ موتزارت يتنقل من بلد الى آخر دون قرار تلبية لدعوة المدينة التي تستقدمه اليها فزار هولندا وميونيخ وبروكسل ومسقط رأسه سالسبورغ ثم سافر وحده بدعوة من امبراطور النمسا الى فينا فألف هناك كثيراً من المعزوفات الغنائية لدار الاوبرا الملكية ومكث عدة اشهر ثم غادر عاصمة النمسا الى ميلانو في ايطاليا وقصد روما حيث احتفل به احتفالا عظيماً ، واستقبله اقطاب الفن وعظماؤه واساتذة المعاهد الموسيقية وهواة الموسيقى استقبالا شيقاً يتناسب مع ما يتمتع به من الشهرة والعظمة . ورغم هذا الاحتفال العظيم فان الموسيقار جيوفاني قال يومذاك ان روما لم تحتفل الاحتفال اللائق بنابغة العصر . وكان موتزارت قد بلغ في ذلك الوقت الرابعة عشرة من عمره وأصبح تلميذاً للموسيقار الالماني الكبير هايدن الذي ابتدع الملحنة (السمفوني) . وسأل موتزارت استاذه ذات يوم ان يعزف له مقطعاً معيناً من قطعته الاخيرة التي الفها، فقهقه هايدن وقال : « كأني بك تحاول الهزء بي يا لعين» واخذ يعزف القطعة فلما وصل الى ذلك المقطع الذي اشار اليه موتزارت وجده من الصعوبة بحيث لا يمكن عزفه ابداً باليدين . فأعلن ذلك لتلميذه الذي ابتدأ بالعزف ولما وصل الى المقطع المذكور أحنى رأسه على أصابع البيان وأخذ يتمم العزف بأنفه . عند ذلك هتف استاذه وقد تملكه العجب : « موتزارت اني اخشى عليك من هذا العالم الذي حولك، موتزارت انك اعظم من عزف على البيان » . على ان هذا المقطع حذف فيما بعد واستعيض عنه بغيره لصعوبته .

حين بلغ موتزارت سنة ١٧٧٦ العشرين من عمره كان يجوب انحاء باريس وملاهيها مفتشاً عن عمل دون جدوى . لقد أتى اليها وفي قلبه آمال يساورها المجد والثروة وفي خاطره احلام جاء يحققها في مدينة الفن والجمال . ولكن باريس أنكرته وهي التي احتضنته اول عهده بالموسيقى مما اضطره الى ان يبيع قطعه الموسيقية العظيمة خالية من اسمه حرصاً على الا يعرض عنها اصحاب المسارح ودور اللهو او يبخسوها ثمنها . وهكذا ضاعت اكثر قطعه ولم تعرف حتى اليوم . ولبث موتزارت اياماً في باريس يقلب وجوه الرأي ثم حزم امره على مغادرتها فرحل عنها الى المانيا حيث التقى بابيه الذي حاول جاهداً ان يرفه عنه ويحمله على النسيان والسلوى . ولكن جهود الاب لم تجد نفعاً اذ كانت الخيبة التي مني بها موتزارت في باريس

شديدة الوقع على نفسه حتى انها اورثته داء عضالاً كان سبب القضاء على حياته فيما بعد.

وتعرف موتزارت في المانيا بفتاة تدعى لويزيان ويبر وهي من اسرة الموسيقار ويبر، فأحبها وأحبته! ولم يمانع ذووها في زواجهما الذي ما ان تم حتى غرق الزوجان في نعيم مقيم انتهبا خلاله لذاذات الحياة وتذوقا اطايبها في كؤوس مترعة على ان هذه السعادة لم تعمر طويلاً اذ ما كادت لويزيان تلتحق باحدى الفرق الموسيقية الراقصة ويبزغ نجمها فيها ويصيبها قليل من الشهرة حتى اعرضت عنه وارسلت تعلمه بأنها في حل من عهدها له، فجن جنونه وتبعها رغم الفاقة التي كان يعاني ويلاتها واستعطفها بالدموع والرجاء ولكنه لم ينجح في استعادتها اليه فاستكان وران الحزن على قلبه واصبح يبدو منذ ذلك الحين كلما جلس الى البيان كئيب الوجه ساهم النظرات مطرق الرأس. ومضت عليه السنون غير شاعر بوجوده كلما حاول العزف تلجلجت من اوتار كمانه الحان كأنهـا حشرجة روحه المتهدمة او ترجيع لآهات قلبه الحطيم. وكأن القدر اراد ان يبسم له بعد عبوس ويحيل خريف حيـاته ربيعاً زاهياً فنشأت بينه وبين اخت لويزيان في فينا صداقة انقلبت الى حب متين حاول به ان ينسى ماضيه المفعم بالآلام والارزاء. غير ان المرض عاجله عقب زواجه الجديد فركبته الوساوس والاوهام وزلزلت كيانه ذكريات الماضي البعيد الذي لم ينسلخ عن خاطره يوماً من الايام. وبالرغم من ذلك كله فقد عاد الى التأليف ليتداوى وينفق على طعامه وكسائه.

وفي اليوم الثالث من كانون الأول سنة ١٧٩١ تسللت زوجه الى غرفته الحقيرة فشاهدته منهمكاً في فراشه بالتأليف فلما شعر بها رفع رأسه ونظر اليها بعينيه الغائرتين ووجهه الشاحب ونظرت هي اليه وفي قلبها حسرة وفي حلقها غصة. رأت نحوله ورأته منكمشاً على نفسه، يد تكتب واخرى تسند صدره من شدة السعال، فخرجت وأتت بكرسيها الوحيد الباقي من الاثاث الحقير فحطمته قطعاً صغيرة والقت به الى النار تضرم اوارها لتبدد صقيع الغرفة ثم اقتربت منه تقول له بصوت رقيق، كفاك كتابة يا فولفانج. وهمت بسحب الاوراق من بين يديه ولكنه تشبث بالاوراق وضم زوجه الى صدره الهزيل قائلاً: « انها آخر ما اكتب يا عزيزتي لقد ابتدأت بكتابتها منذ ايام ثلاثة، انها حياتي، شقائي وسعادتي، انها انا وأنا هي، انها (المزمار السحري) الذي يردد لحن الشقاء، هذا الشقاء الذي يجب ان تؤمني به ايمانك بالحياة. تباً لهذا العالم. اني ارثي له واشفق عليه اسمعي قطعتي بعد موتي وامعني بالاصاخة اليها فسترين مع اي مخلوق كنت تعيشين. لقد حطمني القدر وأشقاني وتخلى عني المجتمع ونبذني. ولن يكون مصير الدنيـا خيراً من مصيري ». وفي اليوم التالي سلم موتزارت صديقه زوشماير قطعته الاخيرة التي اسماها (المزمار السحري) ورجاه الا يبيعها الا بعد موته. وفي اليوم الخامس من كانون الأول سنة ١٧٩١ ودع موتزارت اصدقاءه وجيرانه وامرأته الملتفين حوله ليلاقي وجه ربه في صمت لا يقطعه سوى صوت البيان يردد الحان « الاغنية الحزينة ». ووري موتزارت الثرى في يوم عظيم البرد كثير الثلج شديد العواصف في مقبرة سانت ماركس في فينا. وهكذا طوى الموت حياة ذلك الموسيقار الذي عاش خمساً وثلاثين سنة قضاها في بؤس وشقاء وألم وحرمان. ولئن ترك بعده ورثة من غير ارث الا انه خلف للعالم ما هو خير من المال وأبقى، خلف مؤلفاته الخـالدة التي تربي على الثلاثمائة قطعة بين ملحنة ومعزوفة.

*

هذه هي حياة ذلك الفنان العظيم موتزارت الذي قضى حياته في خدمة الفن والذي ترك قطعته الاخيرة « المزمار السحري » صورة ناطقة لحياته التعسة القلقة الحافلة بالمآسي والآلام.

وصحت فينا في يوم من ايام الربيع لترى تمثالاً قد أقيم في احدى ضواحيها تخليداً لذكرى موتزارت يمثله منحنياً على كمانه وتشاهد قبراً فخما اعاد للاذهان صورته من جديد. واصبحت ترى مدارج الاوبرا تردد معزوفاته والفرق الموسيقية تتسابق في تقديم قطعه والحانه. وهكذا بدأ نجم موتزارت يتألق من جديد واصبح اسمه على كل لسان كما كان أول نشأته.

واليوم تحتفظ مدينة سالسبورغ مسقط رأسه بجميع آثاره ومخلفاته وبمجلد ضخم يحوي تاريخ حياته. وفي هذا المجلد تطالعك صفحة فيها هذه العبارات: « كان في الثالثة من عمره حين عزف، وفي الخامسة حين ألف، وفي السابعة عندما عزف امام الامبراطور وفي التاسعة حين وضع أول « سونات » موسيقية، وفي الرابعة عشرة حين احتفل به احتفالاً عظيماً في روما، وفي العشرين من عمره حين ابتدأت مأساة حياته ». واذا ما زرت متحف المدينة فسترى اطاراً مزخرفاً كتبت فيه كلمة الموسيقار « لودفيج فون بتهوفن » التي قالها فيه: « اني كلما رأيته يعزف في أواخر حيـاته شعرت شعوراً غريباً ينسيني نفسي في ذلك الجو من موسيقى احزانه وآلامه. »

دمشق — محمد الشريف

عطش

بقلم الآنسة سمية حموي

*

كانت تمتص الفجر نفساً نفساً في ترنق الاسراب مع أوائل التباشير .

تأتي النبع ، من وراء الجبل ، الجبل البعيد ، على صدرها طفلها الرضيع ، وعلى رأسها جرتها الظمأى متمايلة في ترفق قدمها الحائرة .

وتحط على الصخرة ، هنا . . . ثم تنحني الى قلب الماء تغرف وسع راحتها اليمنى ، ثم ترفعها الى طفلها فيرتشفها من العطش لثماً لثماً . . . وتهدهد قلبها شفتاه ، فيرتعش ، وتود لو تعي الينابيع لتسكبها في رمال ظمئه .

ثم تشرب وتملأ جرتها وتعود ، الى ما وراء الجبل .

كانت في ظنها تسبق الطبيعة الى الساقية ، ولم تك تعلم ان هناك في الخميلة عيناً ترقب نزولها .

هي ليست عين النبع ترد تحية الصباح رقراقة بين الافياء الرقراقة ، ولكنها عين انسان قنحى مع الليل والفجر ، ينتظر على ضلع النبع من وراء الشجرة جرتها وطفلها وتلك الراحة الينبوع التي تسقي الماء كأنها حبات منهمرة من بين أصابع السماء . .

تلك كانت عبارتها . . توقظ العصافير وتسبح ، وتروي الرضيع وتهيم مع حلمه الصغير بعيداً في رفعة الحنو ، وتقطف أطيب غدائر الضياء ، ثم تشد الى قلبها شدة شدة طفلها الحبيب .

ويعود ، هو ، الى مختبئه الظليل في المنحدر العالي .

كانت في باله ترنيمة مرجعة ، كانت في يديه مفتاح الطريق .

وقضى ليالي على دمعتي جفنه . . ما به ؟ ؟ . ترى ، ما به ؟

*

وعاد يوماً من أرض النبع ، في وجهه جموح الألم . لقد مات طفلها . لقد هجرت ينبوعها ظمأى . . .

وتنجلي في أعماقه دجنة اشباحه ، ويبقى ساعات يسمع في الصدى رنين ازميل بعيد على حجر أخرس في الجزيرة البعيدة .

***

ثم أربعة . . . ها هي المائدة . . . ها هي الغرفة المقيمة على الجانب الموحش من أرض الناس الموحشة :

. . . جرة عطشى في زبد الماء ، امرأة في غموض الدمع والابتسام وطفل ينظر من شرفة القدر الى يد امه المنبسطة المتحجرة ، جائعاً ، ظمآن ، ومثال يضمد اده بجناحه اليابس على رنين ازميله المتململ .

لقد نطق الصخر في تلك الغرفة ، وفي الغد شاهد الرعاة بجانب الينبوع انساناً وجرة وأماً تحمل طفلها الرضيع وقطرات من الماء تنساب انسياباً صامتا . . .

أيها الحجر الواقف على ضفة الماء ،

أين النحات الذي نحتك ؟ ؟

أين الازميل الذي ابتدعك ؟ ؟

أين الطفل الحي الذي ارتشف من الكف خمرة امه ؟ ؟

ها هو الصبح يطلع من وراء الجبل ، ولم يبق في تلك الخميلة الا عين عالقة بالاغصان ، عين حائرة أنى تلفتت أهدابها تحجرت على أهداب السراب . . .

***

ويروي الرعاة ان الينبوع قد غار في الجبل ، وان الحجر الانسان قد تفتت ولم يعلق منه شيء بأنامل الصباح ورؤوس الازاميل القاسية .

ايها الضياء ، يا ضياء الفن ، ما أشد جفافك على الحجر الصلب .

الراحة النفسية

بقلم ابو مدين الشافعي

☆

الشعور بالفراغ

كلما ذكرنا كلمة الراحة نتصور بالضرورة حالة تعب سابقة لها – على انه لا يوجد شخص يطلب راحة ان لم يكن شاعراً بالتعب فعلاً – وكثيراً ما يخيل لبعض الاشخاص انهم في حالة تعب ويحاولون جهدهم ان يجدوا وسيلة للراحة. ولكن لكل حالة من التعب طريقة خاصة تكفل الراحة هي بالذات. وعندما يكون الشخص متوهماً التعب فانه لا يستطيع ان يجد الراحة المنشودة بل تجد هؤلاء الساعون وراء الراحة انهم تحت وطأة تعب مجهول يشعرون معه بشيء من الحيرة وشيء من الاضطراب حتى لا يستطيع أحدهم معرفة كيف يرضي نفسه – فيتكون لديه نوع من الشعور بالفراغ.

يلجأ البعض عند وقوعهم في هذه الحالة الى سد هذا الشعور بالفراغ بالأكل، فيميل الشخص الى أكل الحلوى ويشرب ما يفيد وما لا يفيد مثل المكيفات المشهورة من شاي وقهوة، وانواع الخمور المختلفة – وكثيراً ما تكون هذه المواد سبباً في متاعب كثيرة تظهر آثارها شيئاً فشيئاً مثل آثار المكيفات او تظهر دفعة واحدة كما هو الشأن في آثار الخمر – وذلك لأن الحالات الجسمية وما يتبعها من حالات نفسية ناشئة عن اعتياد المكيفات والمخدرات، تدعو الشخص الى تلبية رغبة ملحة ويشعر بالفراغ كلما امتنع عن تناولها – وبعد ما كان الشعور بالفراغ ناتجاً عن وهم، فانه يصبح حقيقة قائمة على أساس جسمي مثل النقص في النيكوتين او الكحول.

وكثيراً ما يلجأ الشخص الى الراحة بواسطة سد فراغ مستعملاً الاكل أو الشرب؛ في حالات يكون شاعراً فيها بفراغ حقيقي من الناحية النفسية او الناحية الاجتماعية، فيبدو ذلك الشعور بالفراغ في شكل شعور بالتعب – عندما تصل الفتاة الى سن الزواج وتنضج عواطفها يخالطها شعور يميل بها الى الرأفة على الغير والحنو على الاطفال، وكلما كانت الفتاة محرومة من تغذية عواطفها تشعر بالفراغ – ويدفعها ذلك الشعور الى تلبية حاجة جسمية مثل الاكل والشرب أو حاجة اجتماعية مثل الحديث الذي يساعد على تصريف العواطف المكبوتة وكثيراً ما تلجأ الى الكذب والخيال.

وكذلك فيما يختص بالشاب. فان العواطف المكبوتة تظهر في صورة حاجات عديدة لا يعرف تحديدها – ويخيل اليه ان راحته في ان يعمل عملاً معيناً يرضي نفسه. فتكون الراحة في هذه الحالات كلها إرضاء النفس ولو كان ذلك الارضاء متعباً او مصدراً لمتاعب متنوعة –

واذا تأملنا حالة شخص يبحث عن كيفية تلبية حاجة وهمية ليشعر نفسه بالراحة، لاحظنا انه يقوم بضرب من التحليل النفسي الذاتي. لانه يكون في حالة بحث عن ناحية التعب التي تدفعه الى الشعور بالفراغ – وفي أغلب الاحيان تكون حالة الشعور بالفراغ ناتجة عن خلو التعب، وان الشخص يشعر بنقص وانه لم يقم بالمطلوب ولم ينفذ واجبه، ويبعث ذلك في نفسه نوعاً من الندم يحاول ان يسكته بارضاء نفسه، كي يعادل السرور الناشيء عن ارضاء حالة الالم المكبوت الناشيء عن التفريط.

التعب الوهمي

هذه الحالة شبيهة بحالة الشخص الذي لم يتعب التعب الكافي الداعي الى الراحة؛ ويحاول ان يخلق في نفسه ما يشعره بالتعب ويغالط نفسه ويحاول إقناعها بمنطق مزور خاطيء. فيوهم نفسه انه عمل كذا وكذا وأن هذه الاشياء كلها استدعت منه مجهوداً، وعلى الاقل فانه انتظر، والانتظار متعب، وهكذا ترى الشخص يتحايل على نفسه ليدخل عليها الشعور بالتعب ويبرر له موقفه في البحث عن الراحة

وكثيراً ما نلاحظ هذه الحالة عند الاطفال والشبان في سنوات الدراسة، فيجلس احدهم الساعات الطوال سارحاً في أجواء الاحلام وسابحاً في عوالم الخيال، وتمر الساعات فيهب باحثاً عن طريق للراحة معتقداً أو متعمداً الاعتقاد انه تعب وأنه يستحق الخروج من المنزل ليتريض ويرتاح. ولا يحاول هؤلاء ان ينظروا النظرة الصادقة الى الحالة النفسية الحقيقية، ولا يريدون مواجهة الواقع المؤلم، وهو أنهم لم ينتجوا شيئاً وذلك لانهم لم يتعبوا ولا يمكن بأي حال من الاحوال الوصول الى أية نتيجة من غير تعب، وان كنا نتعب في بعض الاحيان ولم نوفق للوصول الى غايتنا.

يبدو من هذا كله أن الراحة الحقيقية لا تكون إلا من التعب الحقيقي، فعندما ينقطع الشخص عن التعب المنتج فانه يضطر الى خلق تعب وهمي، ليبرر لنفسه حقه في الراحة – ولكن هذه الراحة تكون هي الاخرى وهمية – وكل هذه العمليات تدعو الشخص الى البحث والتحليل والتفكير، وفي ذلك كله بذل للمجهود الذهني وضياع للنشاط النفسي، ولا يستطيع الشخص ان يستمر في هذه الاوهام لانها تحدث عنده نوعاً من السأم وتخلف خيبة الواقع ألماً مراً.

واخطر عادة تنشأ عن الاسراف في الراحة الوهمية ، ان تضيق في الشخص نفسه فلا يطيق التفكير في شؤونه الداخلية ، ولا يصبر على البقاء وحده في مكان ، وتراه دائماً يحاول الخروج عن نفسه ليلهو وليتحدث ليجري او يسمع غيره.

وهذه العادة السيئة تزداد سوءاً ان سايرها الشخص واطلق لنفسه العنان ، فان اخطر ما يترتب على ذلك انه لا يستطيع الصبر على القيام بعمل ، ويصبح عاجزاً عن بذل اي مجهود ، ويستغني عن التعب الحقيقي المنتج بالتعب الوهمي الذي لا يخلف وراءه الا متاعب اخرى — ويصاب الشخص بحالة من الكسل الذهني فيشعر في اغلب الحالات بتوقف في التفكير ويميل الى احلام اليقظة ، ويكون في حالة شبيهة بحالة الفراغ الذهني ، وهكذا تنقطع اعماله ولا يستطيع انهاء عمل ما في مدة وجيزة ، وقد تتطور هذه الحالة وتصبح معقدة ان هو تهاون وتمادى في استسلامه.

التعب شرط الراحة

ويحتاج الشخص في مثل هذه الحالات الى هزة عنيفة تشعره بالحياة التي يجري حولها ، وتربطه بالمشاكل الحيوية وتبعث في نفسه روح النضال التي فقدها .

ان الحياة المدرسية والجامعية الخالية من التغيرات الداعية الى النشاط والمتطلبة بذل مجهود للتكيف المتجدد ، حياة تدفع الشخص الى الركود الفكري وتجعله يميل الى المواقف السلبية.

ان التربية الحديثة التي تحاول ان تسهل كل شيء امام التلميذ وتقدم كل المعلومات في صورة محسوسات لا تتطلب نشاطاً ذهنياً للتفكير ، تجني اكبر جناية على الطالب الذي يألف معها الوقوف عند الحس ولا يجد حاجة الى التفكير ، وهو المجهود الخاص . فيمكن للناس ان يتبادلوا المجهود العضلي ويتعاونوا بحيث يقوم شخص بمجهود بدل شخص آخر ، ولكن الموقف يختلف فيما يختص بالمجهود الذهني . هناك اشياء يضطر كل شخص على التفكير فيها بنفسه ، حتى يستطيع الوصول الى راحة نفسية حقيقية ، وليس التحليل النفسي غير مساعدة الشخص على القيام ببعض العمليات النفسية التي لم يستطع القيام بها بنفسه .

يمكننا ان نتتبع بعض الاشخاص في حياتهم اليومية ، لنقف على حالات غريبة تحدث كثيراً من الاضطرابات النفسية ، وقد تتعدى الى اضطرابات اجتماعية . واذكر حالة شاب عرف آلام الحب في بلد وتردد كثيراً في الاقبال على الدنيا والتمتع بما كانت الفرصة النادرة تتيحه له ، وفر الى بلد آخر ليواصل دراسته وقد كانت حياته هادئة من كل الوجوه المادية فلم يعان اي تعب ، ووجد مستوى الدراسة سهلاً بالنسبة للمستوى الذي كان فيه . دفعه كل هذا الى الدعة والسكون فلم يحاول الخروج من منزله وأقبل على المطالعة ، وكانت الظروف الهادئة تدعو الى النوم وهبوط النشاط النفسي فتراه يقول واصفاً حاله بدقة كبيرة :

شعرت في الايام الاخيرة انني لا استطيع ان اركز انتباهي في موضوع المحاضرة التي اقرأها ، فحوالي النصف ساعة الاولى من الابتداء في القراءة شعرت اني متسلط تماماً على انتباهي في الموضوع ولكن على حين غفلة تطرأ علي فكرة او حادث مر بي من قبل فيبدأ انتباهي ينسحب رويداً رويداً من بين السطور ، بينما تظل عيناي تجولان فوق السطور التي مضت دون ان افهم منها شيئاً ، وقد أحس بالذي حدث فأتدارك الامر بترديد لحن او قطعة من اغنية ، فاتناسى الذي جال بخاطري واعود راساً الى الموضوع ، ولكن للأسف الشديد فانا أستسلم للامر في اكثر الاحيان فانسى وجودي امام المحاضرة فتعود عيناي هي الاخرى الى الانسحاب من الصفحة ؛ فتبدو الفكرة تتطور حتى اتمثلها كشريط سينمائي يمر امامي ، وقد اتطوح كيما احد من روعة المناظر او اقلل من استشعارها عند تكرار تلك المناظر ، وقد تطول مدة العرض ولكن على الاغلب يتدخل صوت الضمير محاولاً ايقاف تلك المناظر ، وهنا تبدأ المعركة الداخلية واخرج منها مشرد الفكر محاولا نسيان الحاضر وواجبه وراغباً بالمزيد من صور المستقبل الخداعة .

لا راحة مع الركود

صور لنا هذا الشاب المعركة العنيفة التي تقوم في نفس الشخص الفارغ ، الذي حاول ان يقوم بعمل سهل لا يكلفه اي تعب — اننا نلاحظ في هذا العرض اضطراب الافكار وتلاشي كل اتجاه في النشاط ، يشعر الشخص بتضارب في افكاره ويلاحظ بنفسه عدم انسجامها

واشار في آخر تحليله لنفسه الى الظاهرة التي تكلمت عنها في اول هذا الفصل ، وهي ظاهرة البحث عن الراحة الكاذبة بتلبية رغبات وحاجات جسمية .

واول ما يلتفت اليه الشاب او الفتاة في حالات الفراغ هو موضوع الحياة الجنسية ، ويقول الشاب المشار اليه : وقد تتدخل المسائل الجنسية في الوسط بيد انها ليست بعامل قوي الا في بعض الاحيان ، وقد تتدخل ايضاً مسألة الزواج ومن تكون هي الزوجة الا انني عندما اصل الى هذا الحد اضحك من نفسي واستهزىء بها

لانها تقدمت الى اشياء ابعد من ان افكر فيها في الوضع الحاضر.

تدل هذه الملاحظات اليومية التي نراها تتكرر عند اشخاص كثيرين، تدل كلها على ان الانغماس في الراحة يؤدي الى هبوط النشاط النفسي ولا يشعر الشخص بأية لذة في تلك الراحة لانها راحة غير ناتجة عن التعب.

فالراحة الحقيقية هي التي تأتي بعد تعب مشعور به. حتى هذه الراحة التي تأتي بعد التعب تتطلب شروطاً خاصة يجب معرفتها والخضوع لها لتكون الراحة مفيدة للجسم وللنفس.

وقال بييرون بوجوب وجود عائق يعوق انتباهنا وقت القيام بعمل يتطلب التركيز، لان ذلك يدعونا الى المقاومة وبذل مجهود للتغلب على العراقيل. وقد يشعر الشخص بالراحة مع الاستمرار في العمل، ولكنه بمجرد تلاشي ما كان يعوق العمل يشعر الشخص بنوع من الراحة.

والراحة الحقيقية لا تكون سلبية اذ تتطلب دائماً نوعا من التعب، فالراحة المفيدة هي الراحة التي يبذل فيها الشخص نوعاً من النشاط ليعوض نقصاً بواسطة نوع آخر.

البحث عن الراحة

واذا لاحظنا حيواناً منهمكاً يبحث عن الراحة، وجدناه يميل الى الاستكانة مع بذل حركة جسمية عامة تساعد على الارتخاء تارة وعلى التماسك تارة اخرى، وهذه الحركة التي تبدو واضحة عند الحيوان موجودة لدى الانسان ولكن بشكل أدق حتى انها كثيراً ما تخفى على الشخص نفسه، وهذه الحركة التي تتطلب نشاطاً إرادياً هي التي تجعل النوم فعلاً إراديا، ولذلك يمنع التعب الشديد النوم ويعوقه، لان التعب الشديد يقضي على قدرة الشخص للقيام باي فعل من الافعال ومن بينها فعل النوم.

ويمكننا ان نشاهد حالة شخص وصل به الامر الى الانهاك فنراه يتبلبل ولا يعرف كيف يستقر في مكان بل لا يستطيع الاطمئنان في مكان، ويكثر اضطراب حركاته ويمكننا تأويل ذلك بالبحث عن الحركة المريحة.

يؤدي بنا هذا البحث الى تأييد فكرة اضطراب النشاط النفسي في حالة التعب، وتكون الراحة هي محاولة ارجاع التوازن في النشاط النفسي العام، ولهذا يشعر الشخص بالتعب ولو كان العمل منصباً على عضو معين من الجسم، وذلك يبعث الاضطراب في الجسم كله وبالتالي في النفس.

نخرج من هذه الفكرة بطريقة علمية للراحة، حسب ماتقدم يفهم ان لكل نوع من التعب طريقة خاصة في الراحة، فالذي يرتاح راحة عميقة ومفيدة للجسم والنفس هو الذي ينظر الى نوع التعب الذي تحمّله قبل البحث عن نوع الراحة التي يحتاج اليها، ويرتبط موضوع الراحة بموضوع التعب ارتباطاً وثيقا في الدراسة، لانهما مرتبطان في الواقع، ويحسن ان نذكر أهم انواع التعب التي يمكن للشخص ان يتعرض لها ويمكننا بذلك ان نعين اضمن الطرق المؤدية للراحة. لان كل نوع من التعب يحدث نوعاً خاصا من الاضطراب والراحة العلمية هي التي تعرف اقرب الطرق للقضاء على اي نوع من الاضطراب.

ان التعب يلحق الكائن كله مهما كان مصدر التعب ونوعه ويمكن تقسيم التعب الى نوعين تعب جسمي وتعب نفسي، فالتعب الجسمي الموضوعي هو الناشئ عن نقص في التركيب الكيميائي للانسجة، وهناك تعب جسمي عام ناشئ عن اضطراب الوظيفة النفسية وهذا التعب «جسمي نفسي» ينشأ عن تعب موضعي في الجسم كما ينشأ عن اضطراب في السلوك وإرهاق في العمل الذهني او حدة في الانفعال والعاطفة، اوعن اضطراب اجتماعي.

لا يمنع هذا التعدد في انواع التعب من ان يكون التعب في حد ذاته شعوراً وان يكون صداه في النفس دائمًا، ولا فائدة في الراحة ان لم يكن للشخص شعور واضح بها، والراحة كما تقدم، تغيير في توجيه النشاط، وقد ينشأ التعب عن حالة سلبية لا حركة فيها دائما الاستمرار في وضع معين يحدث شعوراً بالتعب، وكثير من الاعمال التي لا تتطلب من الشخص بذل مجهود كبير تحدث شعوراً بالتعب.

ليست الراحة كما يفهمها العامة هي الانقطاع عن العمل ووقوف النشاط النفسي وابتعاد عن كل ما يتطلب بذل مجهود، ان الراحة المفيدة هي التي تقوم على مجهود لتعويض النقص في مجهود آخر.

ان الراحة لا يمكن ان تكون قائمة على انقطاع النشاط، وذلك لان التعب في حد ذاته يعتبر اهم عامل من عوامل الهبوط في النشاط النفسي، فيجب ان تكون الراحة على عكس ذلك باعثة للنشاط، او منظمة له، لان آثار التعب قد تكون عبارة عن اضطراب النشاط النفسي فيقضي الشخص على التعب باعطاء الفرصة للنشاط يمكن بها الرجوع الى التوازن والانتظام.

لقد تبين من دراسة التعب ان الاضطراب الناشئ عن اي نوع من انواع التعب يسري في الكائن الحي كله، ولا يمكننا ان ننسب التعب الى ناحية معينة في الجسم او النفس.

القاهرة — ابو مدين الشافعي

الشلال

★

من مصبّ الفجر في مجرى الفضا · تتحدّاك ينابيعُ الضياء
توأم النور على ثدي الضحى · ورفيق الفجر في حضن السماء
يصمتُ النورُ ويخبو شدْوُه · ويفيضُ اللحنُ في غور المساء
وصدى شجوكَ يدوي مالئاً · أضلع الليل وآذان الخلاء
أنتَ في الارض حنينٌ شاردٌ · هاربٌ للخلد من دنيا الفناء
غنّ يا شلّالُ واهتف عالياً · إنَّ في صوتك روح الشعراء

***

كم تصبّبتَ على الوادي هوى · وتفجّرتَ على شطّ اللقاء
وتكسّرتَ قناديل سنىً · وتفجّرتَ نواقيس دعاء
هائماً تهفو الى « حوريّة » · من بنات النور تغري بالنشاء
كم ترامَيتَ على أذيالها · ولها غنّيت في عرس النماء
نسيتْ عهدكَ لما كبرت · وتعالت عنك في خدر الإباء
عقدت للفجر إكليل الهوى · وحواها في أراجيح الهواء
آه يا « صفصافة » الغور ويا · نشأة الدلّ على مهد الحياء
اسبلي الستر على سقم الهوى · وامسحي الدمع بأذيال الرداء
آه يا ليّنة العطف ، وكم · تكمن القسوة في لين النساء
ربّ أنثى نعمت مثلك لي · أوهنت عزمي وهاضت كبريائي
ورمتني بين أحشاء الدجى · شعلة ، في لمّة الصبح إنطفائي
هات يا شلّال ما يغري الجوى · داؤك الثائرُ في الأحشاء دائي
كم تشردنا على الارض معاً · وبها همنا هيام الغرباء

فتلاقينـا على وادي الأسى ... وترامينـا على مجرى البكاء
فابك يا شلال وازفر عـاليًا ... ان في صوتـك روح الشعراء

***

أيهـا الثائر في رحمته ... سائراً مـا بين هدم وبنـاء
يلقم الصخرة شدق المنحنى ... ويثير الخصب في صدر العراء
فاتحـاً تجري على انشودة ... كارفضاض البوق في خفق اللواء
لست في الارض كسيل جـامد ... يدعي فيهـا هدوء الحكماء
آسن الفكرة يوحي للثرى ... آيـة البؤس وأشباح الوباء
ان في صوتـك يطغي جارفاً ... آه لو يفقه سمع الضعفـاء
كسر أصفـاد وتحطيم ظبيٍ ... وصدى تهشيم ابواق الرياء

***

إيه يـا أنشودة الزهو على ... ارغن الفجر وقيثار المساء
انت يا شلال تشدو بغمي ... في دجى الليل وترغي في دمائي
انت مني وانا منك معا ... نحن صوت الارض في سمع السماء؟
نسأل الرحمة والخصب لهـا ... ونغنيهـا أناشيد الرجاء
نتلاقى اينما سرنا بهـا ... في مروج العمر او وادي الفناء
نلتقي ترباً ومـاء مثلما ... نلتقي ريحاً وروحـاً في العلاء
انا يا شلال قـالوا انني ... جبلة في الارض من طين وماء
سبكتني راحـة علويـة ... ثم حلت نفحة الوحي إنائي
وغداً تحطمني كف الردى ... وشذا روحي يسرى في الهواء
فتغنيني ترابـاً في الثرى ... واغنيك سحابـاً في الفضاء
غنِّ يا شلال واهتف عاليـاً ... ان في صوتك روح الشعراء

فارس سعد



فهم الجمال من اسس الخير

بقلم مصطفى فروخ

استاذ الرسم بجامعة بيروت

☆

على كتف ذلك الوادي الجميل ، وادي حمانا ، وفي حنية « لطوة » مكتظة بالباسقات الخضر من صنوبره الأنيق ، جلست اتفيأ أظلالها المطمئنة ترطبها نسمات حلوة وفلتات بارعة من بقع الشمس البرتقالية اللون ، ابحث عن ركن اسجل فيه شعوري حيال هذا المشهد بما ينتظر بين يدي من الالوان .

وكأن تلافيف هذا الوادي وتعاريجه وغاباته والمنعرجات والجلول المرصوفة باتساق هندسي ، رائع ، كل هذا حمل لعيني في مثل خيالة مناظر الطبيعة السويسرية البالغة بعناية الانسان واهتمامه وتقابلت مع موائل هذه الطبيعة اللبنانية البارعة الجمال المهملة من الانسان ، انساننا المغرور السادر ، الساكن هنا .. فهو يهجر ارضه بما فيها من تلك الثروة وهذا الجمال الذي لا نظير له ، مفتوناً عنها بمغريات مريضة . ساعياً بين يدي غايات بليدة تمثل انهياراً في الذات ، باذلا جهد المستميت في سبيل وظيفة حقيرة يفاخر بها أبناء قريته ..

اما الارض السمحاء التي تنتظره ليعمل فيها معوله القوي وجهده المنتج فقد اضحت له مثار احتقار وازدراء . وباتت الوظيفة والسياسة خطراً يهدد القرية والنفسية والانتاج .

وكأن هاتفاً اوحى اليَّ وانا في هذا الموقف ان اسجل شعوري وارسم هذه الصورة عن الارض الكريمة علها تثير حب الارض ، هذا الحب الذي تميز به اللبناني القديم في كل عهوده فيعود اليها متأملا مستلهماً بين الجمال والروعة ، وهي صرخة مخلص الى الفلاح اللبناني الذي احب .

والآن لنتحدث عن جمال هذه الارض وعن الطبيعة وعن لذة العيش فيها وعما توحيه الحياة فيها من متعة ولذة لا تضارعها لذة . تلك الطبيعة المخصاب التي كانت مبعث وحي ونهضة على الزمن .

نحن نحب الارض ونمجدها وهي تعطف علينا وتباركنا وتضفي علينا من خيراتها وجمالها بسماحة لا تعادلها غير سماحة الام ومحبة الام وعطف الام ، وبعد أليست الارض امنا تحتضننا في الحياة والممات ؟

فانا لا احس بالسعادة الا ساعة اقف والطبيعة وجهاً لوجه ، ولا احس بالنشاط والهناءة الا في احضان الطبيعة حيث الصفاء والجمال والهدوء . والجلال والصدق والسماحة وأراني كلما سنحت لي الفرصة اهرع الى هذا الملجأ الامين كي احس بأنني انسان لي

روح وقلب ينبض بالحياة الحق بينما انا في المدينة لا أزيد عن قطعة بشريـــة تغدو وتجيء على غير هدى ولا شعور ، بــل أحس وكأنني آلة كتلك التي يقذفنا بها الغرب فأصبحنا مثلهـا كثيري الحركة قليلي الشعور ولكننا نفوقها، اذا حسن هذا التعبير، بعدم النظام . . .

وبهذه المناسبـــة أقول ان المراقب الحصيف يحس عندنا بامتداد موجة جارفة نحو المادة يضحي المرء معها كل ما يعترضه من مبادىء سامية وشمائل نبيلة كان يعتز بها هذا الشرق العربي .

على ان الاوربي اهمل الفن وتناساه وهو الذي أطلق هذه الموجة لم يتنكر كل هذا التنكر لهواه المثالي في الطبيعة وفي الفن فهو يدرك اهميته في حياته ولذلك لا يزال ضنيناً به يحوطه بكل عنايته واهتمامه اذ يعلم ان الفن هو رمز الحضارة وهو متعة الروح ومجدد نشاطه وباعث قوي للتجدد الفكري وهو زيت الحياة الذي يلطف من خشونتها فيردها جميلة جذابة رائعة كما انه أداة فعالة في كافة أعمالنا اليومية فهو يدخل في كل حرفة وصناعة وعمل وعلى مقداره يكون العمل جميلا متقناً ومـــا احسن ما قاله حكيم الاغريق سقراط : ان العمل المفيد هو العمل الجميل . لهذا كله فالغربي يتمسك بالفن ويحافظ عليه وينشىء له المعاهد على انواعها ولجميع الطبقات كل يعب منه كفايته ثم ينشره بدوره على الناس جمالاً وابداعاً وكمالا . ولن ابحث الآن عن درجة الفن في الغرب ولا عن متاحفه ومعارضه الكثيرة ولا تعصبـه الشديد بالمحافظة على آثاره التي يعتبرهـــا تاريخه وفيها مثوى أمجاده، يعم ذلك الاهتمام المدينة والقرية على السواء . ولا بأس ان أذكر بايجاز عن مؤسسة نشأت في انكلترة للمحافظة على الآثار من منـــاظر الطبيعة والبيوت القديمة والآثار من رسوم وتماثيل وكتب وغيرها فقد اجتمع في لندن منذ خمسين سنة محام وقسيس وامرأة من العمال وكونوا من انفسهم مـــا سموه (مؤسسة الامـــانة للتراث الوطني) فقد أرادوا ان يجدوا طريقاً لصيانة الابنية والطبيعـــة الانكليزية وحفظها في جمالها التاريخي والفني والطبيعي . ولقد وفق هؤلاء في غايتهم فقد بلغ في الوقت الحاضر ما بيد هذه المؤسسة الوطنية زهاء مائة وعشرة آلاف فدان والعديد من البيوت القديمـــة والآثار الوطنية .

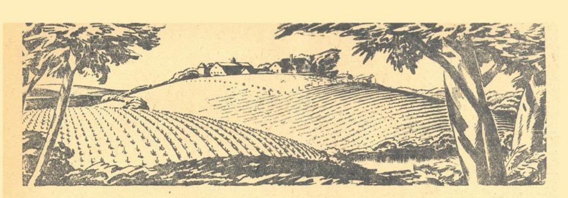
وفي سنة ١٩٠٧ بعد اثني عشرة عاماً، انشأت شركة شعبية غير تجارية طبعاً ، وبقيت أغراضها كما هي : صيانة الجمال البريطاني التاريخي للشعب . وشرعوا عند ذلك في قبول الممتلكات والعقارات على سبيل المنحة، او ابتياعها من الاموال الزائدة من التبرعات ، كما اتبعوا طريقاً آخر في الدخول في التعاقد مـــع ملاكي الاراضي والابنية ، على ان يتعهدوا بتأمين املاكهم الى الابد ضد التلف . على ان يقيد هذا التعهد حقوق الملاك في الوصية . وبمثل هذه الطرق استطاعوا ان يضيفوا اربعين الف فدان اخرى . وقد حصلوا في (دربي شير بيكلند) القديمة على التحصينات التي يرجع تاريخها الى ما قبل الرومان كما حصلوا على مدافن قديمة ووضعوا ايديهم على مزارات تاريخية وقرى وابراج وأديرة اثرية ومنـــازل صغيرة في القرى والمدن والكثير من المنازل الريفية تحوطها الحدائق والمتنزهات بمجموعاتها الفنية التي هي مثال للهندسة الوطنية وجمالهـــا المعروف في القرون الوسطى .

ودخل هـــذه المؤسسة يقوم عـــلى الاشتراكات العامة التي تجمع من الاعضاء وغيرهم ومن الهبات والوصايا ومن دخل ممتلكاتها وقد اعفيت هذه المؤسسة من الضرائب . وتقوم ادارتها المالية على نظام دقيق يضم رجالاً من اهل الخبرة المـــالية ومديرين مجربين .

وتمتد ممتلكات هذه المؤسسة لمسافات واسعة وقرى عديدة وفيها تلك المنازل الجميلة التي ترجع الى القرن الثامن عشر . هي آثار بهيجة وهي ذات مناظر جذابة حيث تجمع بين هذه الاحراج والغابات التي لم تمتد اليها يد انسان وبين الريف الجميل الذي يمثل في اخضراره الريان قلب انكلترا الخضراء . وجمال انكلترة الريفي في هذه المزارع المصفوفة المنسقة والاشجار الباسقة والحدائق الغناء كله من صنع اليد الانكليزية وتوضع هذه المزارع تحت رعاية جمعيات مركزية حيث تكون المزارع في عناية الزراع انفسهم الذين يعنون بها في شعور وفخر ويحفظون لها جمالها . وقد انتخبت المؤسسة عند شراء بعض هذه الآثار لجنة من صفوة الاخصائيين مؤرخين وفنانين ومهندسين زراعيين .

وفي هذه الخمسين سنة ، استطاعت المؤسسة ان تحفظ للاجيال المقبلة اشياء كثيرة من اشجار وأراض خضراء ، ومنازل قديمة وقصور وقلاع كلها صفحات مهمة من التاريخ الانكليزي .

ذكرت لكم هذه الصفحة عن اهتمام العالم بآثاره وطبيعته وكل حجر في دياره لان في المحافظة عليه تاريخه وفي حفظ التاريخ حفظ



حياة الامة . ونحن هنا بلاد التاريخ القديم ومركز الحضارات السالفة ولا يزال لدينا بعض الآثار وطبيعة جميلة مما خلق الله مثلها علينا ان ندرك قيمتها ونحافظ عليها ففي بقائها بقاء لنا وفي تلاشيها تلاش لنا وانقراض . واشاهد اليوم في لبنان خاصة اتجاهاً جارفاً نحو هدم كل ماهو قديم وابدال الباطون به ويا له من عمل بشع هو الانتحار بعينه ثم لا توجد هناك جماعات تهتم بذلك بل أرى الجميع يحملون المعول ويهدمون تاريخهم بأيديهم وهل أفظع من ذلك؟ . . انا لست ضد العمران الحديث ولكن لنعمل على اسس فنية معقولة نوفق بها بين آثارنا والحديث وبذلك نصون تراثنا وتقاليدنا وتاريخنا لا ان نترك من بعدنا حضارة باطون وبطون . . . .

قلت لن أبحثكم عن معارض الغرب وما فيها من روائع الفن والأمجاد التاريخية كلا بل سنذهب الى معرض الطبيعة الفسيح ونقوم بنزهة الى بعض هذه الحقول اليانعة التي تزين هذه البقعة المباركة من الارض والتي هي بحق فخر لجهد الانسان العامل وهي فخر للعلم والنظام .

هذا هو امامنا حقل زرع بمختلف الخضار والاشجار المثمرة وقد تنظم غرسه وتناسق شجره وأينع ثمره لانه خلو من الامراض فبدا وله نضرة ورواء وظهرت الاوراق خضراء يانعة تبهج النفس وهو بعض اثار العلم والمكافحة المجدية .

وهو هو امامنا احد الفلاحين المجدّين وقد شمر عن ساعديه المفتولين الذين لوحتهما شمس الشرق كما لوحت وجهه بلون نحاسي جميل هو رمز الصحة والعمل والجمال . يضرب الارض بمعوله وحيناً بشوكته كأنه يكشف عن كنوزها الدفينة وهو الى ذلك يسكب عليها قطرات زكية من عرق جبينه اللماع فتمتزج بترابها الكريم وكأنهما يتعاهدان عدم الانفصال الى الابد .

وكم هو جميل منظر الفلاح قام ينظم الثلوم ويعدّلها فتبدو خطاً مستقيماً يذهب الى ما لا نهاية فيرتاح لرؤيته النظر . . . ولكن اجمل ما تقع عليه العين هو منظر الفلاح الذي قبض بيده على محراثه والشمس تصب نورها عليه وهو يستقبلها باسماً جاداً في اداء مهمته التي احبها وآمن بها ، ومنظر الفلاح وهو يحرث الارض كثيراً ما أثار قريحة الادباء والفنانين فنظموا وحرروا أغلى دررهم ولونوا اجمل لوحاتهم لان في مهمة الفلاح معنى كبيراً في حياة الانسان واتصاله بالارض . فالفلاح يدغدغ هذه الارض ويكشف كنوزها والفنان يتعرف على اسرارها وينشر جمالها شكراً وتمجيدا

وينعم الفلاح بلذة روحية بما تعكسه الطبيعة في نفسه من جمال ورحابة وصفاء وانطلاق وتأمل في هذا الكون العظيم وهذه من النعم الكبرى التي لا ينعم بها ابن المدينة . وهو غذاء روحي قد يجهل اثره ولا يفقه سببه ولكنه على كل حال يحس بلذة قد لا تعادلها لذة اخرى مما في حياة ابن المدينة الصاخبة ولا سيما عندما يقف فوق هضبة ليرتاح من عناء عمله ، متأملاً تلك المناظر الخلابة التي تحيق به ، جبال شاهقة واودية سحيقة ملتفة وصخور ضخمة واشجار باسقة وصنوبرات لفاء وخضرة يانعة تبعث في النفس الغبطة والامل ؛ ونسمات تهب عليه من كل جانب كلها الصحة والعافية ومياه تنساب بقربه عذبة صافية جرعة فيها تفوق متع المدينة المتكلفة ثم يزيد في جمال هذا الجو السعيد تغاريد الطيور وزقزقة العصافير واصداء العتابا من الرعاة والمكاريّة الى ما هناك من دنيا الهدوء والصفاء تغمرها الخضرة والنسمات العطرة والمياه الدافقة والجمال الساحر يجدر بنا ان نسميها بالفردوس الارضي ولكن الانسان الجاهل لا يشعر بالنعيم الا حين يفقده . . .

مصطفى فروخ

مزامير الطبيعة في سويسرا

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي

مدرس الفلسفة بجامعة فؤاد الاول

☆

لوزان – اوشي في ١٢–٨–١٩٤٦

اراني في حاجة ملحة الى الوحدة ، الوحدة الكاملة الرهيبة فأدنى نأمة تكفي لاشاعة الاضطراب في كل كياني

لقد كنت من قبل ازوّد لنفسي الوحدة دون ان اشعر حقاً بعمقها ونعيمي فيها . أهي الطبيعة الرائعة من حولي ترتفع بي فوق كل شأن انساني؟

الآن أفهم لماذا يعتزل الدنيا من شاركوا في تسابيح الروح

بحيرة ليمان عند ساحل اوشي تنشر عبيرها الازرق فوق سفوح الجبال الحالمة في شوق المغيب . وبين يدي «آلام الفتى فرتر» افتحها لأقرأ فيها الرسالة الثانية ، لان في وصفها للسجو الجميل خير تعبير عن حالي الآن . وما من عجب بعد ان أومن، في أمثال هذه الآونة الساجية، بوحدة الوجود الشاملة التي تفنى فيها الاعيان تتحد بالكل المنتظم الزمان والمكان . بيد ان وحدة الوجود لدي فوق كل تعيين او حد ، وما هي الا استرخاء الوجد الحالم في الوجود الغارق في العدم الاصيل .

وهأنذا أسترسل في احلامي وذكريات قراآتي ، فتنبعث من بينها بقوة تلك الصفحة الرائعة الخالدة التي كتبها بودلير بعنوان «اعتراف الفنان» فأحس بوخز هذه السن المدببة الى اقصى حد ، سن اللانهاية ، واشعر بالطبيعة وهي تفكر ، «تفكر دون حجاج ولا قياس» . اجل! ان للطبيعة منطقهـا العالي ، العالي فوق كل منطق متعال .

الي ايها الشراع المارق في زرقة الاحلام! في نصاعتك ما يرفع الرأس الحالم فوق سطح التسبيح . فأنت اذن مركب النجاة للروح كما للبدن على السواء .

وانت ايتها الجبال المستضحية لشمس الاصيل! في امواج ظلالك اكان تنغم الافق المترامي على نشيد النبع الدافق من عين الوجود، وفي الهمس المسجوم من خمائلك المزهوة بسنديانها وحورها وصنوبرها وحي يفضي الى الاشراق الاصيل ، وهذه النقاط من الضوء الساخر على ثنيات صخورك، ما بالها ترمقني بنظراتها الحداد ؟ اواه ! اواه ! النجاء النجاء من هذا الحلم الغريق ، فلا قبل لي بالسباحة فيه ! ولست اقوى ايضاً على الغرق في هذا البحر « بحر اللانهاية » ومعذرة اليكِ ياليوبردي . وشكراً لكِ ايتها الموسيقى الزنجية الرخيصة التي يستعين بك المنحلون في هذ العصر في اللواذ من سحر الطبيعة الجبار ، خصوصاً في مثل هذا المكان الفاتن الاكار وشكراً لكم كذلك ايها الاطفال الصاخبون ، ولك انت ايهـا الامريكي المنصرف عن كل هذا الجمال – غير المفيد ولا المربح – الى العبث بكلب يجيد السباحة في الماء والتقاط ما يلقي فيه – الا شكراً لكم جميعاً فقد انجيتموني من الغرق في هذه البحيرة السحرية ، بحيرة التهاويل والاحلام والتجليات العلوية .

وهأنذا اعود الى مدينة لوزان فلا يكاد يأخذ اعجابي منها شيء . فهي مدينة عصرية بكل مـا لهذا اللفظ من معنى غير كريم ، وان كان غير أثيم . والشيء الذي يسترعي الخاطر منها حقاً هو مرتفعاتها ومنخفضاتها المتعانقة المتعددة ، وطرقاتها الملتوية الصاعدة الهابطة في غير اكتراث ولا تحذير . بيد ان لها في كاتدرائيتها الرائعة ما يعوّض الكثير . فعلى الرغم من حداثة عمرهـا نسبياً – فهي من القرن الثالث عشر – فانها من الروعة والجلالة بحيث تضارع كاتدرائية شارتر : سموق وتكتل في البنـاء مع اناقة في تركيب الاجزاء ، تشرف على رابية كأنها صخرة عاتية ، وقد خلت من التنميق الخارجي والتخريمات التطريزية (الدنتلة) التي نشاهدها في كاتدرائية مثل كاتدرائية ميلانو وهي تشترك واياها في طرازها القوطي . بيد ان النوافذ الزجاجية ما تلبث ان تخفف من تأثير هذا التكتل المتثاقل ، فتشيع فيها خفة وتغمرها في فيض من النور المتعدد الالوان . والحديث عن هذه الكاتدرائية الجليلة يطول ، فلنؤجله الى فرصة اخرى .

بازل في ١٣-٨-١٩٤٦

أنا جالس على شاطىء الرين أمتد ببصري اللهيف عبر هذه الاجبال التي يقوم من ورائها بلد الحبيب . فتنثال عليّ الخواطر السود ، ومن حواليها تنهمر الدموع .

ولقد تجاوب مع هذه الخواطر السود منذ الصباح جو قاتم ملبّد بالغيوم ذو مطر مدرار استمر طوال الطريق من برن حتى بازل وشطراً من اقامتي بهذا البلد الاسير وما كان هذا غير ارهاص بما سينتابني من هموم واحزان تثيرها في قلبي المكلوم ذكريات ماض عزيز أمضيته بين ربوع البلد القائم عبر هذه المدينة . أواه ! لقد انكأ الرين جراحاً كانت اقاحت وأصدُت ثم مـا لبثت ان اعتصمت على مضض بالصبر الجميل .

لكن دعنا الآن من هذه الخواطر السود ، ولنولّ عيوننـا قبل بازل .

بازل بلد خليق بالاعجاب : فالرين الوقور ينساب خلالها في روعة وجلال تتناسبان مع ما عاناه من آلام وما مر به من محن وخطوب . وعلى ضفافه البهيجة تمتد الابنية المتراصة عن يمين وشمال في استواء لا يبدل من رتوبه الا بروج كالسهام تجال بعضها بالاخضر الزمردي ، وهو اللون الاكثر شيوعاً في بيوت هذه المدينة وجسورها وهي تجمع بين حمى النشاط الصناعي الحديث ، تراها متمثلة في المداخن الحمراء السامقة التي اكتظ بها جو المدينة ، حتى يخيل اليك لو ارتفعت بنظرك قليلا انك ها هنا فوق رابية الأكروبول او في السوق الرومانية في قلب روما : فمداخنها تشبه تلك الاعمدة القائمة في السوق الرومانية وفوق الاكروبول ، ولكن شتان مـا بين مدلول كليهما !

وفيما خلا الكاتدرائية ذات البشرة الوردية والمظهر البسام والاروقة الحجرية المنطوية على نفسها في حلم الصمت المقدس ، لا نجد حظ الفن فيها موفوراً كما كان ينتظر منها وهي المدينة الحريصة على القديم ، وبخاصة ما اتصل منه بالعصر الوسيط . ولقد كانت مركز التلاقي لاربع حضارات عالية ، وكانت مسرحاً لكثير من الاحداث الدينية وبخاصة في عصر الاصلاح — فكان خليقاً بهـا اذاً ان تكون اكثر عمارة بآثار الفن . وما فيها اليوم منها ينمّ عن ذوق أولي ساذج وبخاصة في « دار البلدية » وفي التماثيل المنصوبة في الميادين : فقد طغى عليها الامر الرخيص المنمق بنقوش ذهبية هي ابعد ما تكون عن الفن الصناع .

وها نحن اولاء مرة اخرى في حضرة مقامات نيتشه وصديق بركهرت ، عقل هذه المدينة الاكبر . بيد ان آثاره هنا لا يستلفت النظر منها شيء .

بريج في ٩-٩-١٩٤٦

أتعرف الجمال الوحشي ؟ انه في الطبيعة كما في الانسان .

فان كنت لا تعرف في الطبيعة ، فتعال معي الى هذا الاقليم الرائع المدعو باسم فاليس في الجنوب الغربي من سويسرة .

اخدود في ذيل اخدود ، من فوقه صراط ممدود ، وعلى جوانبه غاب منضود ، وفي قيعانه ماء معقود ، يجري كالعنقود ، ويضطرب بين الصخر الصيخود ، مجراه محدود وسيره في مجهود — وبين الحين والحين قصر عتيق مشهود ، كانه لواء معقود على جبل مشدود .

الشمس تتوارى خلف الاجبال ، ثم تراها فجأة على القاع تنهال ، فيزحف النبع من خلف الآل ، وينهلّ الدمع من حضن الظلال ، وهي تشيّع مواكب النور في حنايا الزان .

والقوم الذين يقطنونه تنعكس في وجوههم هذه التهاويل : خشونة ماحلة ، بشرة قاحلة ، وجباه خددتها السنون الراحلة ، واجسام ناحلة . اما النسوة ففي صفرة شعورهن جفاف الاوهام ، وعلى وجوههن تساؤل واستسلام ، وفي غش بشرتهم تمويه الاحلام .

كل هذا يعطي شعوراً بالجلال ممزوجا برعن الاهوال . ويزداد هذا الشعور عمقاً وتغوراً حينما تشاهد اهل الاقليم بملابسهم الوطنية وقد سادها الاخضر الزيتي الغامق فأضفى عليها رهبة وروعة ، وان وشيّت حواشيها بزخارف بديعة فيها الاحمر والاصفر يتبدّيان في ازهار صغيرة مطرّزة حول الرقبة وفي الحواشي الدنيا من هذه الاثواب .

ثم اذا تسمّعت الى الضجيج والعجيج في المـاء الدافق ، وفي الريح بين الحور الباسق ، وفي عويل القطار بين الطرائق ، وفي هذا الصخر المارق ، ووحشة المفارق ، وفي الجلاجل المعلقة في رقاب قطيع البقر وهو يرعى في الوادي الغارق .

من اين يأتي هذا الينبوع ؟ لكأنه يسكن نافقاء اليربوع . وبأية قوة هو مدفوع ؟ صفو مطبوع ، ووجه مرفوع ، فوق صخر مقطوع ينصب في ماء مقروع .

هنا طعم الهاوية ، من صخرة عاتية ، عيونها باكية ، ورمالها دامية ، من تهديدها تراها دانية ، وفي روعتها تبصرها سامية ، وان تبدّت كأنها على عروشها خاوية .

مرة اخرى : هنا طعم الهاوية يرشف من تسنيم العالية

القاهرة — عبد الرحمن بدوي

البؤس المكتوم !

بقلم عبد الله المشنوق

☆

تألم اناطول فرنس في حداثته لمشاهد البؤس والفقر تعترضه في طريقه الى المدرسة عبر شوارع باريس ، فقال ذات ليلة لخادمته جوستين :

—قليل ما يعطون ! الا ترين ذلك يا جوستين ؟

نظرت اليه الخادمة نظرة بلهاء وفغرت فاها واجابته :

—يا سيدي الصغير، لا افهم هذا الهذيان فقال اناطول مستغرباً

—عجيب! أقصد ان ما يعطونه الى الفقراء قليل ، فهو دون الكفاف! . انهم لا يعطون كفاية !.

وهنا هزت جوستين رأسها استنكاراً وقالت .

—لا يا حبيبي ، انت مخطىء! انا أرى على العكس — انهم يعطون الشحاذين والمتسولين اكثر من حاجتهم . ليس الفقير هو الذي يقف في المنعطف ماداً يده الى السابلة يتظاهر بالشقاء استدراراً لرحمتهم . . هؤلاء لا يستحقون الشفقة والاحسان . . وانما الذين يستحقون عطفنا وموآزرتنا هم اولئك الفقراء المستورون المتعففون الذين يحول حياؤهم دون استعطائهم ، تحسبهم اغنياء من التعفف وهم يبيتون مع أطفالهم على الطوى في اكراخهم البالية ويفضلون الموت الف مرة على ذل السؤال . هؤلاء يا اناطول هم الجديرون بالبر والاحسان . لا أولئك المتسولون المحترفون! .

ويروي لنا اناطول فرنس في قصته الرائعة «كتاب صديقي» كيف قضى تلك الليلة يهدس في احلامه باولئك الفقراء المتعففين المستورين ، وكيف أسس فيما بعد ، في مدرسته الصغيرة ، شركة مساهمة لاغاثة هذا النوع من الفقراء ، قوامها هو واثنان من رفاقه ، وكيف حمل سراً ودون علم والدته بعد ظهر الخميس ، القسم الاكبر من أمتعته الى بيت غسالة بجوار منزله ، خيل اليه انها فقيرة مستورة ، وكيف تفقدت أمه ملابسه في غيابه فاتهمت الخادمة جوستين التي قبعت حزينة في المطبخ تندب أمانتها وتبكي وتنتحب ، الى ان يعود اناطول الصغير وينجلي الموقف فينال عقابه من امه بضع ضربات على قفاه ، وينال جزاء أشد واقسى تنزله به جوستين حين تقول له باكية :

—آه ، يا سيدي الصغير ، لو كنت أكثر ذكاء لما بدر منك هذا ! . قليل ما يعطون!

هذه جملة قرأتها لاناطول فرنس منذ أيام حداثتي ، وهي لا ترد في خاطري وانا أستعرض صباح كل يوم في طريقي الى عملي جيش المتسولين المحترفين وبينهم ذلك الأعمى —المتعامي— تنقده القروش حتى اذا ما ابتعدت ، فتح عينيه يعدها ويلقيها في جرابه ! وذلك الكسيح يمد رجله على الرصيف و«يشحذ عليها» حتى اذا ما أقبل الظلام ، اقفل حانوته وهرع كالغزال الى حانة او محششة يسكر ويتكيف بغلته اليومية طوال الليل !

لا ، وانما كنت أردد هذا القول «قليل مـا يعطون !» كلما مررت بمشهد مؤثر من مشاهد البؤس المكتوم يفتك بالناس فتكاً ذريعاً ولا يشعر بوجوده أحد ، ولعلي ، كنت بدافع مهنتي اكثر من سواي اختلاطاً بهذه الطبقات البائسة المتعففة فعرفت عنها الشيء الكثير ، وما عرفته عنها يدمي القلوب الانسانية الرحيمة ، أليس المعلم كالطبيب يطلع بحكم صناعته الشريفة على أسرار الناس وبواطن امورهم ولا سيما حالتهم المادية !

يتحدثون باستمرار في شرقنا العربي عن أولئك الفرسان الثلاثة : الفقر والمرض والجهل التي تهد كيان الشعوب العربية ، ويتحدثون باستمرار عن مكافحتها ولكن الفارس الاكبر في نظري هو البؤس المكتوم ، وهو أولى بالمكافحة من سواه — كما قالت الخادمة جوستين — لأن الفارسين الآخرين : المرض والجهل نتيجتان ملازمتان للفارس الاول : الفقر . .

ولعل المدارس هي الميدان المفضل لهذا الفارس الجبار يفتك بعامة

الامة وزهراتها وآمالها، ولعل المدارس ايضاً الميدان المفضل للمكافحة بالاحسان الصامت يتزل في ارض متعطشة للخير فينعشها ويحييها !

كان ذلك منذ عشرين عاماً، وكنت يومئذ مديراً لكلية المقاصد في حرج بيروت — وكانت في ذلك العهد مدرسة ابتدائية كبيرة تضم زهاء الف طالب، معظمهم من الفقراء المستورين الذين يمثلون سواد الشعب، فيا لهول ما كنت أراه من مظاهر الفقر المدقع المكتوم!

وجوه شاحبة تنم عن تغذية ناقصة رديئة، وأطمار بالية — سيما مريولاً اذا شئت — لو كشفت عنه لما وجدت تحته بذلة او ثوبا بل هو القميص والسروال في أبرد أيام الشتاء!. أجسام رخصة هزيلة مرتجفة لا تعرف الدفء ولا الغذاء ولا أسباب النظافة والصحة. هؤلاء جاؤوا يطلبون العلم عندنا. اليس الاولى لنا ولهم ان نغذهم بالغذاء والكساء قبل القراءة والكتابة؟..

يحين وقت الظهر فيدخل الطلاب قاعة الطعام وقد حمل كل منهم غداءه في مطبقيته، وكنت أطوف عليهم وهم يأكلون فاذا بعضهم يأكل رغيفه اليابس قفاراً (حافاً) واحيانا يستحضر راساً من البندوره يغمسه بالملح. هذا هو الغذاء الكامل لطفل ناشيء!.

وكان بعضهم يتهرب من الدخول الى قاعة الطعام، واقسم لك اني بكيت حين سألتهم ذات يوم فعلمت انهم انما يفعلون ذلك لانهم لم يجدوا في بيوتهم ما يحملونه الى المدرسة يقتاتون به وقت الظهر فتراهم ينتظرون المساء جياعاً ويتغذون بما نقدمه لهم في مائدتنا الروحية الهزيلة من علوم ومثل عليا !..

هذه مشاهد مؤثرة قد تكون مألوفة لدى المترددين على المدارس ولكن ثمة مشهداً مفجعاً رايته صبيحة يوم من ايام العودة في مطلع العام المدرسي، لا استطيع ان أنساه فقد انطبع في خيالي بالوان صارخة لم تقو العشرون عاماً على محوها، فكأني اراه اليوم ماثلا امامي بتفاصيله ودقائقه وحركاته..

انا في مكتبي استقبل افواج الطلبة واوليائهم عندما دخل عليّ اب متهدم شاحب الوجه، متوسط السن، هو اشبه ما يكون بالشبح لشدة هزاله، يمشي بخطى وئيدة محطمة من فرط الاعياء، ويسوق امامه «طرشاً» يتألف من خمسة صبيان، صغيرهم في الخامسة وكبيرهم لا يتجاوز العاشرة، متدرجون في السن والطول كسلم النوطة، وما يكاد الوالد يقترب من اول مقعد في الغرفة حتى ينطرح عليه لاهثاً متعباً، فتنتابه أزمة من السعال العنيف المتواصل، يلفظ على اثرها لعاباً دامياً يتطاير في جو الحجرة ويتجمع بقعاً حمراء على الارض!

وبعد استراحة قصيرة يلتفت الاب المصدور اليّ معتذراً !

— عفواً يا استاذ ! هذه حالي كما ترى ! جئتك باطفالي الخمسة وليس لهم بعد الله سواك !. وأجهش بالبكاء ثم بكى!..

ونظرت الى اولاده فاذا عيونهم تفيض بالدمع لفرط ما يعانيه والدهم من ألم، واذا بي ارى في وجوههم الشاحبة وملابسهم الرثة صورة بليغة ناطقة بالبؤس والسقام يعجز القلم مهما اوتي من بلاغة عن تصويرها على حقيقتها.

وعلمت من الاب المسكين انه كان يعمل أجيراً في احدى المصالح العامة فاخرج من عمله لمرضه العضال، وانه يناضل في صمت واستكانة الداء والفقر مع اسرته في كوخه ولا معين لهم سوى الله!

طيبت خاطره وآسيته ورجوت له الشفاء — وهو في المرحلة الثالثة من الداء — فانصرف شاكراً. واما انا فقد ظلت صورة هذا البائس تلازمني طوال النهار.

وقصدت في المساء بعد فراغي من عملي صديقاً لي من التجار الاغنياء ورويت له الحادث فهز كتفيه متأسفاً وقال وهو يعد مبلغاً جسيماً من المال ويكدسه في الصندوق:

— ما العمل يا صديقي؟ في الدنيا بؤس كثير.. ولا يكفي العباد الا رب العباد!..

تركته شاكراً، وقصدت صديقاً آخر صناعياً كبيراً لعلي أحظى منه بما لم أحظ به من زميله التاجر ولعله يجود ببضعة أذرع من القماش يكتسي بها الاطفال الخمسة، ورحت اقص عليه القصة فاستمع حتى النهاية ثم قال بأسف: — ليست احوالي على ما يرام يا أخي.. انا اشكو ضائقة مالية عصيبة.. ولا تغرنك الظواهر!.

وانتهى بي المطاف الى عيادة طبيب من كبار الاطباء الاثرياء فقال لي مبدياً اهتماماً عظيما: — سوف أسعى مع المسؤولين لادخال المريض احد المصحات ولعلي أنسى لوفرة اعمالي فذكرني اذا نسيت!

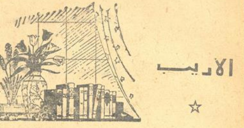
وقصدت في السهرة وجيهاً غنياً فقال معتذراً:

— من عادتي ان اوزع الزكاة في شهر رمضان، وسأخصص لهذه الاسرة ما يتيسر في العام المقبل ان شاء الله!..

وبعد ايام معدودات زارني في مكتبي بالكلية استاذ زميل من اصدقائي يعمل مدرساً في احدى مدارس الحكومة الابتدائية، فقادنا الحديث الى هذا البؤس المخيم على الطلاب في دور العلم فرويت له بتأثر باد حكاية الوالد المصدور وابنائه الخمسة، فاذا به يستمع باهتمام وشعور واذا به يخرج منديله ويمسح دمعاً يترقرق في عينيه. ثم يودعني وينصرف..

وقبل ان تشرق شمس اليوم التالي استوقفني غلام على باب

الأديب



☆

— لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير)

— تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة لبنانية

في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ٦ دولارات

ونصف ترسل حوالة بريدية دولية او حوالة على احد المصارف

— المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

— للاعلان يراجع المدير الفني : مختار شمالي

●

لدى الادارة مجموعات من الاديب تطلب بالثمن التالي :

السنة الاولى ١٩٤٢ ٣٥ ليرة او ٤ جنيهات انجليزية

« الثانية ١٩٤٣ ٢٥ « او ٣ « «

« الثالثة ١٩٤٤ ١٥ « او ٢ « «

« الرابعة ١٩٤٥ ١٥ « او ٢ « «

ويحسم ٢٠ بالمئة لمن يطلب الثلاث مجموعات الاولى معاً

○

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

◆

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت — لبنان

الكلية وناولني كتابا مختوماً وقال : — هذا من صديقك الاستاذ فلان . . وانصرف .

فضضت الغلاف واذا بي اقرأ الكلمة الآتية :

«عزيزي ! لقد أثر بي ما رويته لي نهار امس من انباء هذا البائس المصدور واطفاله الخمسة ، فهل لك ان تنوب عني بتقديم هذه الليرات الذهبية الثلاث المرسلة طياً تخفيفاً لبؤسه راجياً كتمان اسمي وقبول معذرتي لضآلة المبلغ فهذا جهد المقل . »

المخلص

فـلان

لا يقدر البؤس الا البائسون !

يا لله ! معلم لا يتجاوز مرتبه الشهري ست ليرات ذهباً يتبرع بنصفها سراً لاغاثة بائس مجهول لا يعرف عنه شيئاً ! . .

لست أدري لماذا انتقل فكري — وانا قابع في مقعدي أقلب الرسالة والليرات الثلاث — الى التلغراف ؟ ترى ألآن باب مختبر الفيزياء المقابل للادارة كان مفتوحاً تبدو في احدى خزائنه اجهزة التلغراف التي يتعرف بها الطلاب عملياً الى هذا الاختراع العجيب ، أم لقصة بولونية شبيهة قرأتها ، ام لسبب آخر اجهله !

لست ادري ، ولكني أعلم حق العلم اني ربطت في ذهني هذا الحادث بما يجري عادة عندما يرسل احدنا برقية ، فهناك محطة مرسلة ترسل النبأ ، وهناك اسلاك مركزة على اعمدة تنقل النبأ ، وهناك محطة لاقطة تتلقى النبأ . .

هذا هو التلغراف ! المحطة المرسلة هنا هي هذا البائس المصدور وأطفاله الخمسة ، والمحطة اللاقطة هي هذا البائس المعلم ، واما انا ، واما صديقي التاجر المعتبر ، وصديقي الصناعي الكبير ، والطبيب المثري الكثير المشاغل ، والوجيه المزكي في رمضان ، فقد كنا كلنا أعمدة التلغراف ! . .

والآن ، وبعد مضي عشرين عاماً ، ولا سيما في هذه الازمة العصيبة ، ما تزال مدارسنا مرتعاً خصيباً للبؤس والفقر والسقام ! تغذية ناقصة وكساء مفقود ! . وقليل ما يعطون !

وها انا اتوجه بنداء حار الى سيداتنا ملائكة الرحمة وسادتنا أينما كانوا ، والى جمعيات البر والاحسان ومؤسساتنا العـامة ، ان يتعاونوا في تنظيم مبرة تقدم للمحتاجين من ابنائنا الطلبة في المدارس — على اختلاف درجاتها والوانها — وجبة يومية صحية من الطعام ، وكساء يتقون به برد الشتاء ، فالشتاء على الابواب ! . .

تُرى هل يستجاب هذا النداء ، أم اكون انا ، وجمهرة القراء ، اعمدة للتلغراف ؟ . .

عبدالله المشنوق

ابنتي ندى

مهداة الى ندى الصبر اديب

☆

يا ابنتي قلبي الى لقياكِ ملهوف مشوقُ
دائم التذكار ، حتى كدت أنسى اذ أتوق
كلما ابصرت طفلًا فهو في نفسي طليق
خطوه فوق فؤادي لو تجـافاه الحريق

***

يا ندى ، يا برعم السوسن رواه الشروق
انت في قلبي وفي روحي زفير وشهيق
لاسمك المترف بالحب ارتواء وبريـق
كلمـا رددته فالكون فجر مستفيق
انت لحن الروح ، لون من أمانيَّ عريق
بك قالت مهجتي فالشعر منسوقٌ أنيق
اي شعرٍ ؟ بعد ان كونت انسانًا يفوق

***

في يدي ، في مقلتي اللهفةُ ، في دنياي ضيقُ
واذا اندح ذهولي مثلمـا يطفو الغريق
كدتُ ألقيك الى صدري ولكني أفيق
فاذا بي ، باللهيب الاحمر الطاغي مسوق

***

انت حس من دمي يحدو الى الغيب عميقُ
يا ترى أين؟ متى؟ سدت على الفكر الطريق
انما أولادنا مثل الرُقى كيلا نفيـق
بهمُ نحدو على درب طويل اذ نضيق
اي شيء غير اطفالك في العيش يروق؟

درعا علي محمد شلق

بولونيات

بقلم يوسف اسعد داغر

امين دار الكتب اللبنانية

☆

استغفر الله الى « الاديب » والى هذا الفريق المختارين قرائه، عنوان قد لا يبدو ، لاول وهلة ، اديباً او ادبياً ، بل خارجاً عن صدد مجلة نذرت نفسها للادب الرفيع ، فاذا بهذا العنوان يطل نابياً ، كما يلوح ، ويصر في هذه الانشودة الماتعة التي تركض لها ملامس الادب علماً وفناً وجمالاً لا تنطلق من معزف الاديب .

فليهدئن كل واحد من روعه « لبولونياتي » ولينظر اليهن في غير ما استحياء ووجل واستهواء فليست « بولونياتي » الا بنات افكار وابكار كواعب ، تبعد قصياً عن حديث الجمال فناً وخلقاً ، ممثلاً في قدود ميساء ونواظر نواعم نواعس فلهذا كلهوما اليه قلم فياض وشرارة زناد ، وريشة شيخ من عبيد الله اجالوا مراقهم الكراشف جولات صادقات ادمت واغنت .

وقد توخيت في « بولونياتي » اموراً علمية ادبية ، تتعلق في جوهرها وروحها بالاستشراق البولوني ، او بعلم المشرقيات في بولونيا ووحي الشرق في الادب البولوني . ففيها من المغريات والمشوقات ما قد لا يتوفر مثله او بعضه لاخواتها من الآدميات في تلك الاقطار . والمراد من هذا كله رفع الستار ، ولو قليلاً ، عما قام فيما مضى من الصلات والروابط الفكرية والادبية بين الشرق العربي والبلاد البولونية .

الرحالة البولوني ردزفيل

علاقة بولونيا بالشرق العربي قديمة ترجع الى اواسط القرن الرابع عشر حيث قام بعض الادبا فيها يولون اهتمامهم شطر الآداب الشرقية ولا سيما العربية والايرانية .

ومن بوادر هذا الاهتمام ذلك الطواف الذي قام به الرحالة البولوني نيقولا خريستوف ردزفيل N. Cl. Radziville . فجاء الشرق العربي في اواخر القرن السادس عشر وطوّف طويلاً في ربوعه ، وهبط سورية ولبنان وفلسطين ومصر ، وتبرك بزيارة بيت المقدس سنة ١٥٨٣ وترك لنا عن رحلته هذه وصفاً شيقاً اتى فيه على ذكر الكثير من عاداتنا واخلاقنا وحالة البلاد الاجتماعية .

الرحالة زيكوفسكي

جاء الرحالة البولوني جوزيف زيكوفسكي J. Sekowski لبنان في الربع الاول من القرن التاسع عشر ، وسكن مدة عين طورة حيث تتلمذ على الاب انطون عريضة الذي علّم العربية سابقاً في كلية «فيينا» وكان يوم جاء لبنان ، يعلم العربية في مدرسة عين طوره . فدرس على الاب المذكور اللغة العربية واستبحر في نحوها وآدابها . ومن اروع ما تركه لنا وصفه الاب انطون المذكور ينشد امامه بعضاً من الشعر العربي ، بصوت جهوري يدوي كالسيل المتدفق .

كزيرسكي

يعيد المستشرقون ونحن معهم ، هذه السنة (١٩٤٦) الذكر المستشرق بيبرستين كزيرسكي (١٨٠٨—١٨٨٧) ولد في بولونيا فقدم بعد عام ١٨٣١ فرنسا في طلب العلم ، وكانت سوق الاستشراق اذ ذاك رائجة جداً يتولى قيادتها ده ساسي ، فيتعمق في اسرار العربية [1] ولما امتلك ناصيتها عين ترجماناً في وزارة الخارجية ، ثم بعد حين ، ترجماناً للسفارة الفرنسية في طهران حيث اتيح له الاهتمام بالدروس الايرانية .

من آثاره في علم المشرقيات معجم كبير من العربية الى الفرنسية طبع اولاً في باريس ، عام ١٨٤٦ في مجلدين ضخمين وليس عام ١٨٦٠

(١) نجيب العقيقي : المستشرقون : ١٠١

كما زعم العقيقي. واعيد طبع هذا المعجم سنة ١٨٦٠ في مجلدين وذيل كبير، ثم طبع للمرة الثالثة في القاهرة، عام ١٨٧٥ في اربعة اجزاء كبيرة منها نسخة في دار الكتب اللبنانية مسجلة فيها وتصنيفها الفني

وقد تولى اعداد هذه الطبعة وتنقيحها وتصنيفها الفني السيد عبيد جلاب واستعان كزيمرسكي بمعجمه هذا على ترجمة القرآن الى الفرنسية عام ١٨٤٠ واعيد طبعه لها ٧ مرات آخرها عام ١٨٨٠ وقد سبق فترجمه من قبل فرآن. ولا تزال ترجمة كزيمرسكي موضوع ثقة العلماء لدقتها وسلاستها. ومن آثار هذا المستشرق ايضاً نشره حكاية: «انيس الجليس» عن الف ليلة وليلة، طبعها مترجمة الى الفرنسية ايضاً سنة ١٨٤٦

المعهد البولوني للدراسات الايرانية

قليلون وقليلون جداً من ابناء بيروت الذين يشعرون بوجود هذا المعهد في مدينتهم مع انه مثال يحتذى للنشاط والدأب على العمل العلمي الخالص. يقوم على ادارته العالم البولوني ستانسلاس كوسيا تكوفسكي استاذ التاريخ سابقاً في جامعة فيلنو البولونية وهو اليوم شيخ جليل وعالم محترم يشهد له بالفضل ولا سيما تبحره في الدراسات الايرانية مع انه نيف على السبعين. يساعده في العمل والدراسات فريق من العلماء البولونيين الذين طوحت بهم الحرب فطوفوا في آفاق الشرق الرحيبة الى ان حطوا عصا الترحال في طهران ثم في بيروت، حيث يعملون بلا هوادة لاستجلاء ما غمض لديهم من تاريخ الشرق وقضاياه الفكرية والثقافية، ولا سيما في الدراسات الايرانية.

رأى هذا المعهد النور في طهران، عام ١٩٤٢، وانتظم عقده من بعض علماء المشرقيات البولونيين الذين كانوا يعملون في حقول الدراسات الشرقية بين مستعرب ومستترك ومستفرس في احدى الجامعات الكبرى البولونية، اخصها جامعات فارصوفيا وكركوفيا ولفوف، فاذا بالحرب تنفجر فتعركه عرك الرحى بثفالها وينجو منها طويل العمر فيفر طريداً شريداً. ولا يكاد يشعر الواحد منهم بالسلامة والطمأنينة حتى يعود سيرته الاولى الى العلم والبحث والتنقيب غير مبال بعضة الجوع وقرس البرد وقلق الفكر لحكومة المستقبل.

وفي هذا الجو من قسوة الدهر وعسر المادة وقلة الوسائل وضآلتها ينصرف المعهد البولوني للدراسات الايرانية الذي يقوم في بيت متواضع من حي الصنائع الى شد الاواصر الفكرية بين الشرق والغرب. واول عمل قام به سعيه لانشاء خزانة خاصة تيسر البحث لمن يريد فتوفر له الاصول الكبرى والمراجع الهامة في الايرانيات في هذا الحقل الخاص من حقول الاستشراق الرحبة. واذا بهذه الخزانة الصغيرة التي تقوم في احدى غرف هذا المعهد المتواضعة اغنى خزانة من نوعها في بيروت، مدينة العلم على ما يقولون، تزيد ثروتها من الامهات والاصول على ما يوجد منها في المكتبة الشرقية ومكتبة الجامعة الاميركية في بيروت وكلاهما اغنى من دار الكتب اللبنانية اضعافاً مضاعفة. وهي تحوي ١٢٠٠ مجلد تبحث في الايرانيات.

وقد باشر هذا المعهد، مع ضآلة وسائله المادية والمالية نشر سلسلة من المطبوعات تدور حلقاتها الاربع على الايرانيات، ظهر الجزء الاول والثاني منها بعنوان: «تحصيلات ايراني» عام ١٩٤٣ — ١٩٤٤ في ١٦٧ + و١٦٠ صفحة، كما ظهر الثالث بعنوان: «مطالعات ايراني» طهران ١٩٤٥ في ٢٩٢، والرابع بعنوان: «لهستان» وهو اسم بولونيا باللغة الايرانية، في طهران ايضاً، عام ١٩٤٤ في ١٦٤ صفحة، عدا عن مئات الصور والرسوم والمخططات الجغرافية تزدان بها صفحات الحلقات الاربع.

هذا هو العلم الحقيقي المجرد النزيه، وهؤلاء هم العلماء الخليقون بهذا الاسم، ينصرفون الى البحث في هدأة وسكون، دون ما صخب او ضجة، بعيدين عن الطبل والزمر والدعاية الفارغة الجوفاء. ما احوجنا الى مثلهم في هذا الشرق الصاخب المتبرم بالحياة مهما كانت لبوسها.

مكسيمليان ريلّو ١٨٠٢ — ١٨٤٨

راهب يسوعي بولوني الاصل والموطن عمل في الرسالة اليسوعية في الشرق في النصف الاول من القرن التاسع عشر وتولى رئاستها وقد ارتبط ببلادنا وبسكانها برباط لا انفصام له. فاليه يعود الفضل الاول في تأسيس الكلية اليسوعية وهو اول من اقترح ذلك على رؤسائه وحاول اخراج مشروعه الى حيز الوجود. فجاء بعده من اتم العمل وانجزه.

وقيّض له ان يتولى مقدرات الكلية الاوربانية في رومة Collegium Urbanum فادارها بين ١٨٤٤ — ١٨٤٦. ثم عينته رومة نائباً للمعتمد الرسولي في افريقية الوسطى، فجاء الخرطوم في السودان ولم يلبث ان توفي فيها، في ١٧ حزيران ١٨٤٨.

ومن آثاره في لبنان استقدامه لراهبات مار يوسف الظهور وتكليفهن القيام بتربية الفتيات ولا تزال مدرستهن قائمة في بيروت الى الآن. وقد وضع صورة للعذراء مريم باسم سيدة النجاة وهي

لا تزال ترى الى اليوم في كنيسة بكفيا .

مينسكي Meninski

ولد فرنسوا مينينسكي ونبغ في القرن السابع عشر وهو اكبر واشهر مستشرق انجبته بولونيا على الاطلاق ، وقد يأتي في عداد لا بل في طليعة كبار المستشرقين في العالم ، بل هو امام من ائمتهم العظام .

لم يكد يتم دروسه الثانوية حتى عهدت اليه بعض الاسر الارستقراطية العليا في فارصوفيا العناية بامر تهذيب اولادهم وتولي ثقافتهم . فعرف بميله لعلم اللغات وللالسنية المقارنة فنشر ، عام ١٦٤٩ ، في مدينة دانتزيغ ، اجروميات ثلاث ، في نحو اللغات الايطالية ، والفرنسية ، والبولونية . وقد ساعدته استعداداته اللغوية وقابليته للغات على ان يكون في عداد سفارة بولونية الى اسطنبول ، حيث لبث بضع سنين انصرف خلالها الى التضلع من اللغات التركية والفارسية والعربية .

عاد الى بلاده بعد حين فاذا بالدبلوماسية النمساوية تقدر مواهبه فتستخدمه ترجماناً لها ومستشاراً فنياً في الامور الشرقية . وقد انصرف ، وهو في فينا ، الى اعداد اهم اثر ادبي له واخطرها شأناً ، الا وهو معجم ضخم جداً باللغات التركية والعربية والفارسية مع ترجمة مفرداته الى اللاتينية والالمانية والفرنسية والبولونية دعاه : « Thesaurus Linguarum Orientalium Turcicae, Arabicae, Persicae ». اي «كنز اللغات الشرقية التركية والعربية والفارسية .

باشر بطبعه في غرة ١٦٨٠ ولبث دائباً على عمله لا يني ولا يمل ولا يبالي بالصعاب بالرغم مما ناله من الارهاق في الحصار الذي ضربه الجيش العثماني حول فينا ، عام ١٦٨٣ وتضييقه الخناق عليها يبغي احتلالها ، لولا نجدة البولونيين للمدينة واستخلاصهم لها بقيادة ملكهم جان سوبياسكي ، كما هو معروف . وقد ابتلي اثناء الحصار بحريق المطبعة فالتهمت النار قسماً من مخطوطته والتهمت جزءاً من الملازم المطبوعة . وفي سنة ١٦٨٧ انجز طبع هذا المعجم الضخم ، في مجلد واحد كبير ، وليس في ٤ مجلدات كما يذهب الى القول صديقنا الاستاذ كوسيانكوفسكي مدير المعهد البولوني للدراسات الايرانية في بيروت ، وذلك في كتابه الموسوم : « ايران وبولونيا من خلال التاريخ[1] » ومن هذه الطبعة نفسها نسخة في المكتبة الشرقية في كلية القديس يوسف في بيروت تثبت

(١) L'Iran et la Pologne à travers les Siecles, p.28

صحة قولنا . فجاء طبع هذا المعجم ، في ذلك العهد ، تحفة ادبية من اروع الاعمال الطباعية التي قامت في القرن السابع عشر . ولم تبل السنون جدة هذا العمل الجبار ، وبقي هذا المعجم محجة العلم والعلماء حتى اواسط القرن التاسع عشر ، اعيد طبعه ثانية ، في فينا ، بعد مرور مائة سنة على الطبعة الاولى ، وذلك عام ١٧٨٠ في اربعة مجلدات ضخام[1] .

ولم يبز عمله هذا الا العمل الجبار الذي قام به في السنوات الاخيرة المستشرق الالماني فيشر ، اذ اعد معجماً عربياً لم يسبق ان وضع مثله او شبيه من قبل ، ولا من بعد ، يثبت فيه المفردات العربية فيردها الى اصولها ويبين طرق استعمالها ووجوه ورودها في النصوص العربية حتى القرن الثالث « للهجرة » ثم يردها الى اصولها السامية معارضاً لها بالجذور الشبيهة بالعبرية والحبشية والاكادية والصومرية ، ثم ترجمتها بالفرنسية والالمانية والانكليزية[2] .

ومن الاعمال الاستشراقية الاخرى التي قام بها هذا العالم البولوني ترجمته الى اللاتينية (١٦٨٠) قسماً من ديوان حافظ الشيرازي الذي يحتل في الادب الايراني ما يحتله هوراس وفيرجيل في الادب اللاتيني ، وانا كريون في الادب الهليني وفولتير في الادب الفرنسي .

هذا بعض ما رأينا ذكره عن المستشرق البولوني مينينسكي ، وهو كما رأيت من كبار المستشرقين وعلم من اعلامهم لم نر صديقنا الاستاذ نجيب العقيقي تعرض له بذكر في كتابه الذي وضعه لتسع سنوات خلت بعنوان : « المستشرقون »[3] .

بروس

اشهر من يمثل ادب القصة والرواية في الآداب البولونية الكاتب بروس E. Prous (١٨٤٧—١٩١٢) . ومن آثاره الخالدة « البريد »Poste و«الدمية» La Poupée «و«النساء المتحررات» Les Femmes émancipées تناول في الاخيرة منها وصف الطبقة البورجوازية في فارصوفيا، مع ميل شديد فيه الى الغبطة والارشاد . واشهر رواياته التاريخية ، على الاطلاق، رواية «فرعون» وفيها يستعرض مصر القديمة وحضارتها الاولى، فيصور لنا فرعون مصر مناضلاً ضد طبقة الكهان والعرافين ، معتمداً ، في جهاده العنيف على فريق من جالي الفينيقيين اخلصوا له الخدمة . فصرع

(١) راجع في ذلك Schwab : Bibliographie de la Perse, p. 107.

(٢) راجع في ذلك مقالاً للاستاذ بشر فارس نشر في المقتطف ٨٧ : ٥٣٠

(٣) نجيب العقيقي — المستشرقون — بيروت، ١٩٣٧، في ٢٥١ صفحة، قطع ٨

في الجاد . الا ان افكاره سقطت في الارض بزراً صالحاً ، وفي العجين خميراً جيداً اختمرت لها العقول والنفس ،فينبت طلعها وتتغلب في النهاية . وهي رواية من المرغوب جداً نقلها الى العربية لما فيها من وصف دقيق لمدنيات شرقية ازدهرت في هذه الربوع .

متسكيوفتش

للادب البولوني مدرسته الرومنطيقية هو ايضاً ،على غرار ما نشأ منها في الغرب . ولعل ابرز اعلام هذه المدرسة الشاعر النابه آدم متسكيوفتس (١٧٩٨—١٨٥٥) نشر ديوانه الاول عام ١٨٢٢ ، فاذا به يحوم في العلاء يغنينا شعراً هو السحر الحلال ،واذا باسلوبه الرائع كالقضاء المحتوم يدك صرح « الكلاسيكية » دكا ويقضي على قوالبها ونظمها ومثاليتها .

تثاقلت على شاعرنا وطأة الاضطهاد من قبل السلطات القيصرية فابعد الى الروسيا منفياً ، حيث تراه دوماً في اشتياق وحنين الى الحرية يغنيها بعبارة تذوب رقة . وتوطدت بينه وبين النافخين في نار الثورة اواصر الصداقة . وما ان افرج عنه حتى فرَّ الى خارج البلاد كما يفر العندليب السجين ومن آثاره الشعرية ديوانه : « اغاني القرم » ومأساة «دزيادة» وهي ملحمة قصَّدها متغنياً بامجاد الجدود

انطلقت الثورة الوطنية الكبرى في بولونيا (١٨٣١) واندلعت شرارتها كما تندلع النار في الهشيم العاصف وانطلق معها الحماس الوطني كالمرجل المتأجج ، فلم تغن فتيلا فاخمدت بالدم والنار . وكان من نتائجها المشؤومة ان قام البولونيون ينزحون بالمئات والالوف ينجون بانفسهم من سعير الاضطهاد . فكتب شاعرنا الجزء الثالث من ملحمته « دزيادة » التي تنتفض حماساً ووطنية وتسمو بالنفس على انغام من الرمزية كانها وحي الانبياء . فتغنى ببولونيا هذا البلد العزيز المضطهد وستبعث بولونيا حرة حية يوم يبزغ فجر الحرية امام جميع الشعوب . هذه هي الفكرة الجديدة التي رددتها قيثارة متسكيوفتش ،فاذا بها رجع صدى تتجاوبها النفوس الظمأى الى الحرية .

وعلى متن هذه الرمزية يسوق الشعر الرومنطيقي البولوني «السفيانية» البولونية . والمراد بهذه التسمية الايمان الوطيد بذلك العصر الذي سيشرق يوماً ، وهو قريب على الشعب البولوني المختار من الله فيغمره بانوار الحرية ،ليضطلع ،بعد نجاته من اوصابه وآلامه المبرحة برسالته المثلى في تحقيق السلام العام .

فالبولونيون ، بحسب رأي الشعراء السفيانيين منهم ، مهددون بفقدان رسالتهم الازلية وضياعها الى الابد ، اذا ما اقتصروا في سلوكهم ، على السلبية ينتظرون ، صابرين متجلدين قابعين ، بزوغ فجر ذلك العهد المرتجى . فعليهم ،والحالة هذه ،ان يغادروا منازلهم ، جادين في اثر الشر والبطل ، لعلهم يقضون عليه الى الابد ،فيقطعون دابره من وجه الارض . ولذا وجب عليهم مجاهدة النفس وحملها على التجمل بالفضائل السفيانية .

ويتجه متسكيوفتش من ابناء وطنه ،مخاطباً المغتربين منهم قائلاً : « كلما اقبلنا على النفس نستكمل فضائلها وننهض بها صعداً نحو الكمال ظاهرنا الجهاد في التوفيق الى سن شرائعنا المثلى وبسط حدود بلادنا في المستقبل »

ومن قصائده الرنانة : «انشودة الفارس» وهي قصيدة نظمها احياء لذكرى الرحالة البولوني ريجوفسكي Rjewski الذي طوف في الشرق فلقب فيه «امير الامراء» او «فخر التاج»

هجر متسكيوفتش الشعر عشرين سنة من حياته وانصرف الى العمل في حقل الصحافة . ثم عين بين ١٨٤٠—٤٤ استاذاً للغات السلافية في كلية فرنسا (كوليج ده فرانس) بعد انشائها بقليل . فوضع اذ ذاك كتابه : «تاريخ الاداب السلافية» الذي تميز بدقة النقد وعرف بتلك الاراء التحليلية والنظرات المرهفة الشاملة وبعمق احكامه . فكان اول كتاب من نوعه استلفت الانظار .

ولما هبت الثورة الفرنسية (ثورة تموز ١٨٤٨) راح شاعرنا ينفخ في نارها ويضرم في اوارها ، فلعل هجيرها وسعيرها يعم الشرق والغرب فتتصل السنتها ببولونيا فتذيب ما ترسف به من سلاسل الاوصاد والاغلال . ثم توجه الى روما يؤلب فيها المهاجرين من بني قومه ويكتبهم كتائب تساهم في تحرير بلاده من نير النمساويين ولم يلبث ان عاد الى باريس يتولى رئاسة تحرير مجلة «منبر الشعوب» التي عرفت بنزعتها الثورية . وتوفي في الاستانة ،خلال الحرب الروسية العثمانية المعروفة بحرب القرم (١٨٥٤—١٨٥٦) ، وقد جاءها ساعياً باحثاً عما يؤول الى تحرير بولونيا واستخلاصها من ربقة الروس .

سلوفاتسكي

هذا شاعر بولوني آخر انجبته المدرسة الرومنطيقية فسطع نجمه وتألق حتى بلغ الشرق ، هو الشاعر اللامع جول سلوفاتسكي J. Slovatski (١٨٠٩—١٨٤٩) هاجر بولونيا الى باريس (١٨٣٤) وهو يتأبط ديوانين من الشعر العامر المتين المتميز بقوة العضل معنى ومبنى ،حلق في اجواء من الفكر قلما ارتادها شاعر من قبل متلاعباً باللغة والفاظها تلاعب الولد بالكرة . وقد استلهم الشرق وروحه في كثير من موضوعاته الشعرية ،مثال ذلك قصيدة له

عنوانها: «الراهب والاعرابي». ووضع مسرحيتين احداهما بعنوان «ماري ستيوارت» ارتفع فيها الى اسمى درجات الفن فكان بها اكبر شاعر مسرحي على الاطلاق في بولونيا. ولم يسمح لروايته هذه ان تمثل يوماً في العهد القيصري على مسارح فارصوفيا او غيرها من قواعد البلاد الكبرى بما فيها من نقد لاذع ودعوة صريحة الى الانتقاض ضد السلطة.

ولعل اهم حادث في حياته رحلته الى ايطاليا والشرق. قام بها خلال ١٨٣٦–١٨٣٧، متنقلاً في تلك الربوع، بين نابولي وبلاد الاغريق ومصر حتى بلغ منها منطقة الشلالات. ومن هناك هبط القدس وزار لبنان واقام ردحاً من الزمن في بيروت، ونزل مدة دير مار طانيوس في بيت كشبان بالقرب من غزير. وقد كان لليلة التي قضاها على مقربة من قبر السيد المسيح اثر بيّن في نفسه، فاصبح تقياً ورعاً بعد ان عاد اليه ايمانه بفضل عناية مواطنه المرسل اليسوعي الاب مكسيمليان ريلو. فكتب وهو في العريش قصيدته المعنونة: «والد الموبوئين» وصف فيها حال ذلك الاب العاثر الحظ الذي فقد بنيه وهم في الحجر الصحي. ووضع في غزير قصته المعنونة: «أنها لي» An helli رسم فيها بريشة مرتجفة وقلم مرتعش صورة دقيقة قاتمة من صور سيبريا المظلمة حيث يقاسي المنفيون من البولونيين الامرين.

افل سلوفاتسكي راجعاً الى باريس (١٨٣٨) بعد ان عرج على فلورنسا. فنشر على التوالي آثاره الادبية التي سبق له ان وضعها من قبل. منها ذلك النشيد المفعم بالحب وعنوانه «الى سويسرة» ومسرحياته العديدة: «ماذيبا – وبلادينا – وللاّ» فيرينا في الاولى مشهداً من البطولة الرائعة في زعيم القوزاق. وهي مسرحية من طرائف الادب العالي ومن روائع الآداب العالمية، امتازت بما فيها من وصف مبرح للألم المبرّح ومن التحليل لاغوار النفس القصية. اما الروايتان الاخريان فترسمان صوراً شتى من اساطير البطولة التي تغمر تاريخ بولونيا البدائي، ولا سيما رواية «للاّ» فتصور لنا مأساة شعب محتضر، ملمحاً في ذلك من طرق خفي الى الثورة البولونية الاليمة عام ١٨٣١. وقد قابل النقد الفني هذه الآثار الرائعة بعداء ظاهر متجاهلاً ما ينبض فيها من عناصر التوفيق وما تفيض به من الاجادة والشرائط الفنية فتقبلها الرأي العام بكثير من اللامبالاة وعدم الاكتراث.

في عام ١٨٤٢ نجد سلوفاتسكي يسير في تيار جديد ينزع فيه منزعاً صوفياً ساعده على وضع افضل انتاجه الادبي، وهو كناية عن عدة مسرحيات نحا في احداها منحى الشاعر الاسباني كالديرون في روايته «الامير الدائم»، بعد ان اصبحت آثار شاعرنا هذا اكثر ما يطالعه سلوفاتسكي بعد الكتاب المقدس. ولم تكد نظرية التطور والنشوء، التي وضعها داروين تظهر وتنتشر حتى اقبل عليها سلوفاتسكي بكل جوارحه يترسم مبادئها العامة ويطبق نظرياتها الجديدة في روايته: «نشأة الروح» التي وصف فيها نشوء الحياة وتطورها. وقد حاول ان يطبق مذهب التحول هذا الذي اعتنقه صادقاً، في كتابه العظيم الذي وضعه شعراً عن تاريخ بولونيا فنشر القسم الاول منه، واتم وضع القسم الثاني دون ان ينشره في حياته، اذ فاجأته المنية وهو بعد في إبان نضجه الادبي. ولعل هذه المجموعة الشعرية هي اروع ما دبجته يراعة هذا الشاعر الخالد، فامتازت بنصاعة الاسلوب وسلاسة اللغة وجزالة اللفظ وسمو الشاعرية.

وبعد وفاة سلوفاتسكي بوقت طويل، ظهرت طبعة كاملة لمؤلفاته كافة، وبينها «رسائله الى امه» ولعل مجموعة الرسائل هذه هي اوفى مجموعة رسائل في الادب البولوني على الاطلاق

فكلا الشاعرين متسكيوفتش وسلوفاتسكي يمثلان سدة الكمال في الادب البولوني، غنى احدهما العاطفة الملتهبة، وامتطى الثاني اجنحة الخيال محلقاً في اجواء من النور والتسامي. ولا يزال اثرهما الى اليوم ظاهراً، حياً في الاجيال البولونية المرتفعة، متمطياً النفوس، شأنه اليوم شأنه من مائة سنة خلت. وتبلورت تحت ريشتهما نفس بولونيا، فاوصلاها مجلدة صقيلة تتلألأ بالامجاد المشرقات الى الامة الجمعاء. وهما يرقدان اليوم ضجعتهما الاخيرة بغبطة في الاقبية الملكية القائمة تحت كاتدرائية كراكوفيا.

لا تتسع هذه العجالة للتبسط كثيراً ولا قليلاً في الادب البولوني الحديث وتبيان تياراته المختلفة وخصائصه ومميزاته ونوابغ اعلامه. غير انه لا مراء بان الطابع البارز الذي يميز الادب البولوني هو سمة القومية وحب الوطن. هاك ما يقوله بهذا الصدد المؤرخ ميشله: «نحن مدينون لليهود بالقول بوحدانية الله، ولليونان بالجمال الفني، وللرومان بفكرة الدولة والنظام القضائي، وللبولونيين بفكرة الوطن، باعتباره هيكلاً قدسياً يحشد فيه الانسان خير ما فيه من قوى يسيرها في خدمة البشرية ممثلة في شعب ما. فالوطن في نظر البولوني امثل الطرق لخدمة الانسانية جمعاء. يرى فيه البولوني الناموس كله فالوطن ألفُ الدين وياؤه، وبابه ومحرابه، ودفته ومصراعه» هذا وقد جاء في حديث شريف «حب الوطن من الايمان»

يوسف اسعد داغر

يوم اقترعت المسدسات

بقلم رشاد المغربي دارغوث

كان سليم بك في طريقه الى مكتبه يفكر مستغرقاً في مسألتين اثنتين—زواج نورا من العصفوري المرشح للنيابة بنعمة القائمة الحزبية، وبفضل عشرين الف ليرة دفعها على الحساب الى من بيده الامر، ومقتل الشحيمي الذي لن يذهب دمه هدراً . فيبتسم الرجل كلما عرضت له الصورة الهزلية الاولى . ابتسامة ألم واشفاق ثم يتمتم

— « العصفوري . . . نائب الامة ، يا لسخرية الاقدار »

فاذا امعن الفكر في ذلك الاغتيال الحزبي اضطرب سليم بك وداخله شعور غريب ، شعور المقدم على جريمة، واحساس المصمم على عمل لا يرضي الوجدان، يأخذه في اطرافه خدراً كالبرودة ثم يتسرب الى سائر بدنه حميا كدبيب النمل ، ليخرج اخيراً من عينيه وقمة راسه لهيباً كوخز الابر .

وقد زاد هذا الاحساس حدة في نفس سليم تجهم وجه السماء واسراع الظلمة الى شوارع البلدة تغمرها قبل ان تنطلق الكهرباء في الاسلاك . ثم خلو الشوارع التي يجتازها القادم من الحي الشرقي الى الحي الغربي من المدينة—في تلك الساعة الحائرة—من المارة الا القليل النادر حتى اذا وصل الى الزقاق الذي يتفرع من طريق الشام ليتصل بشارع رأس النبع، انهمر المطر غزيراً فسارع سليم بك الى اقرب مخبأ يتقي به ماء السماء المنهمرة ووحل الارض المتطاير فما راعه الا صوت انبعث فجأة من مدخل المنزل الذي احتمى ببابه، يقول مهدداً متوعداً

— ولي، يا ابن كيت وكيت ، انت تزاحم رامح بك ، خذها . . . .

ثم دوى على الاثر طلق ناري، لم يسمع بعده سليم صوتاً ولم ير شيئاً .

*

بعد ايام صحا الشاب فجأة، على نشيج يشبه البكاء . ففتح عينيه المثقلتين، فاذا أمه فوق رأسه تشرق باليأس، واذا ممرضة على قيد اشبار من سريره تنظر الى هذا المشهد بعينين تعودتا التحديق في بؤس بني آدم وآلامهم، واذا غير بعيد منهما تاهاتا واقفة في وجوم كأنها تصارع هذا الزمان اللئيم .

لقد كانت يقظة سليم بك، بعد اغمائه الطويل وعجز الاطباء عن تحريك الحياة الكامنة فيه، اعجوبة من اعاجيب الرعاية والحب . وكان اول ما تفوه به قوله بلهجة طفل جائع يتعلق باذيال امه

« ماء ، ماء »

كلمة راح يرددها وهو يلتمظ فيعلق لسانه بسقف حلقه الملتهب، وتزدحم الحروف عبر شفتيه المتقلصتين فتهب امه الى الابريق تحمله اليه، وهي لا تصدق ان هذه الاصوات قد نطق بها حقاً هذا الحي الميت الحبيب . وتسارع الممرضة بدورها الى الحيلولة بين الام وبين ما اعتزمته ، لتعود بعد لحظة ، بصحبة طبيب المستشفي الاول ، والدهشة في عينيها هي ، والشك في قسمات وجه الطبيب العجوز .

لم تمض بعد ذلك الا دقائق حتى شملت المستشفى حركة غير عادية . فشرطيون ومحققون عدليون ، ووزراء وسواهم من كبار القوم والاصدقاء ، جاءوا يستثبتون من صحة ما قيل عن صحو سليم المفاجىء ، ووعيه الجديد الغريب .

فالرصاصة كانت قد اخترقت اسفل البطن ، واستقرت في الصلب . ولما نزعها الطبيب اصيب الجريح بنزف دموي قطع منه الرجاء . ثم اعقبت ذلك غيبوبة اخذته وتركته في حالة لا يفرق بينها وبين الموت الا انفاس ضئيلة متقطعة ، تكاد المرأة نفسها لا تحس لها وجوداً

قصة

لذا جاء صحو الجريح، كما كان الاعتداء عليه، حادثة رائعة شغلت صحافة البلاد اياماً طويلة، واستغلها اخصام الحكومة للتنديد باعمالها، والسخرية من المجلس الجديد الذي قررت ان تحمله الى الندوة على افواه المسدسات.

*

وطال الجدل في اسباب الجريمة ومقترفيها وتعددت التأويلات والتكهنات، ورجال العدل لا يبدون ولا يعيدون، ضناً منهم بسلامة التحقيق، وانتظاراً للاوامر العالية. الا ان صحيفة كبرى من صحف المعارضة استطاعت ان تذيع على الناس معلومات جديدة، استقتها على حد قولها من اوثق المصادر فصدرت ذات صباح بهذه العناوين الضخمة:

« جريمة نكراء، تقترفها الحكومة — تضحي باصدقائها لتتهم خصومها — سليم بك السراني ضحية مؤامرة دبرتها الحكومة نفسها...»

حتى اذا صدرت الصحيفة الحكومية الكبرى، بعد ظهر ذلك اليوم، قرأ الناس فيها عناوين اخرى، بحروف اضخم

« المعارضة تغتال الآمنين في منازلهم بعد ان قتلت الشحيمي المسكين حاولت اغتيال الاستاذ السراني احد اقطاب الحكوميين، قبل موعد الانتخابات بثمان واربعين ساعة...»

وتنشب على الاثر معركة حامية، يحتدم فيها النزاع بين صحف البلد على اشد ما يكون القتال بالكلام. ثم تنتهي بعاقبة الصحف المعارضة بتعطيلها ادارياً، لاجل غير مسمى وبجزاء الصحف الاخرى ببعض الاموال، تصرف لها من بند « الدعاية للاصطياف » من الموازنة العامة،

*

اما سليم بك السراني فقد راح يستمع باهتمام الى هذه الاخبار وسواها تقرأها له (تاهاتا) — فيما تقرأ من طرائف تلك المهزلة المفجعة وغيرها من المشادات التي تحتدم كل يوم بين الموالين والمعارضين — فيبتسم، وهو في فراش النقاهة بمنزله الريفي ابتسامة من اللون الشائع في ذلك الحين بشيوع مرض العصر، اثر عقد المعاهدة الفرنسية اللبنانية، ابتسامة دبلوماسية لاتنم عما وراءها الا بالقدر الذي تسمح به الملاحق الستة للمعاهدة (المذكورة) ثم يلتفت الى امه متحبباً ويقول هامساً

— « نجاني الله ببركة دعاك »

والى تاهاتا كلما اختليا

— « كان شفائي بفضل تضحيتك »،

والى نفسه في كلا الحالتين

— « من هو يا ترى ذاك الذي كادت حياتي تذهب فداء حياته»

*

ولئن كان من امر يهم الشاب، فوق صحته التي تعود ببطء، فانقطاع نورا وجماعتها عن زيارته، بعد عيادتهم اياه في المستشفى فور الحادثة. وعلى الرغم من ان امه لم تقل له سوى هذه الكلمات

— « جاء رجل اسمه جميل ومعه امرأتان حلوتان، »

فان سليم بك يحب ان يعتقد ان نورا كانت احدى تينك المرأتين، وانها قد بكت عليه حتى قرح الدمع جفونها، مذ علمت بما اصابه، بعد انصرافه محنقاً من منزلها وانها ندمت على ما بدا منها يومذاك.

بل ان الاستاذ سليم ليتصور تلك الفتاة، وقد قرأت خبر ابلاله في الصحف تقوم من زاوية حزنها، فرحة مرحة، فتتزين اجمل زينة، اي تبقى طبيعية كما يحب لها، وتضع قدمها في اولى سيارة تمر بها، ثم تطير اليه، سواء أرضي خطيبها العصفوري ام غضب.

ثم تتجسم الصور في مخيلة سليم بك حتى ليكاد يسمع قرع الجرس في باب منزله، فيدعو

الاشتراك في الاديب

لسنة ١٩٤٧

— آخر موعد لقبول طلبات الاشتراك في سنة الاديب السادسة ١٩٤٧ هو ٢٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٦ ولن نتمكن من تلبية الطلبات المتأخرة بعد هذا الموعد لان كمية النسخ، على كثرتها، محدودة بسبب ازمة الورق

— لا تجدد الادارة اشتراكات لا يطلب اصحابها تجديدها

— كل طلب للاشتراك غير مرفق بالبدل يهمل

— قيمة الاشتراك في سوريا ولبنان ١٢ ل.س و ١٥٠ قرشاً مصرياً في الخارج او ٦ دولارات ونصف ترسل حوالة بريدية دولية او حوالة على احد المصارف

الادارة

الخادمة* الى فتح ذلك الباب واستقبال الزائرة الحبيبة ، لولا ان امه هنـاك على خطوة منـه ، تهوم حيناً لترفع رأسها بابتسامة متعبة تزيد اجفانها تقلصاً وعينيها ضيقاً ووجهها غموضاً ، ولولا ان تاهاتا هنا ترفع صوتها بما تقرأ له بين الحين والحين لتعود فتشفع الانذار ببسمة فاتنة .

فيتألم الشاب لحبيبته ، ويفكر ملياً في هولاء النساء اللواتي يحسبهن المرء ملائكة حتى اذا عركته الحياة ، وابتلاهن ، ادرك مبلغ وهمه . ولكنه يجد مع ذلك — بينه وبين نفسه — عذراً لتلك الفتاة التي يسميها «الطفلة» ، فهي لا تستطيع الاعلان عما في قلبها ، ولا البوح بما في سريرتها خشية التقاليد والآداب . . . . ثم ما بينهما من فوارق اجتماعية في كل شيء .

ويذكر سليم بك في تلك اللحظة قول نورا له في اليوم المشؤوم ، يوم اطلقت عليه النار ببيت من (العتابا) رددته وهي تغمز بعينيها الناعستين « بيني وبينك جبل شويوصلك ليا » فيحس على صدره ثقلاً يفوق ما على سطح الارض من جبال ، ويتمتم مختنقاً

— « اليس من الحماقة ان يحول اختلاف في العقيدة الموروثة بين روحين تفاهما ، فاذا كل منهما يكمل الآخر ؟ »

*

ويستغرق الاستاذ سليم في جدل نفسي ، يذهله عما حوله وعمن حوله ، فينتقل الى الغرب ، ليشهد هناك ذلك الصراع القائم بين العناصر والصوفيات . فيرى فيه لوناً آخر من تناحر العقائد . بل انه يرى في تصادم المبادىء تصادماً آلياً ، في اية بقعة من بقاع الارض حرباً صليبية ثانية اشد هولاً واسوأ عواقب في هذا العصر من كل حرب صليبية سبقت بعد ان ارضخ الانسان حضارته المادية لغرائزه الحيوانية .

ثم يثوب الى الشاب وعيه ليعود فيرى نورا الى جانبه ، وهما يتنقلان في شتى العواصم يقضيان « شهور » العسل وفقاً لما رسمته هي يوم راحا يبنيان المستقبل

— « اولاً . . . نذهب الى استامبول ثم نذهب الى اميركا . . . ثم نذهب الى لوندرا ثم الى البرازيل . . . »

فاذا لاحظ لها سليم ان عليها والحالة هذه ان تبتاع باخرة خاصة ، لتقفز فيها على هواها ، من الشمال الى الشرق ، ومن الجنوب الى الغرب ، قالت جادة

— « نركب الطائرة » ،

فيصمت الشاب ، ويطير معها راضياً على متن هذا المجنح العجيب الذي يركبه الشعراء ، والعشاق وبعض المجانين الكبار

*

وتتتابع الذكريات في رأس سليم بك وهو في سريره ، يستمع الى ما تتلوه تاهاتا عليه بصوتها الاغن ، فيدفع بعض تلك الذكريات بعضها الآخر ، كما تتدافع امواج البحر . فلا يخرج من سلطانها — وقد استأثرت بجميع مشاعره وحواسه الا على حفيف كتاب كان يطالع فيه هو قبل ان يشرد ذهنه في آفاق العاطفة التي لا تحد . فلما انزاح ذلك الكتاب عن حضنه وسقط الى ارض الغرفة ، سمع له دوي على البلاط ايقظ الأم واستقدم تاهاتا ، مروعتين كلتاهما جازعتين فتكلف الشاب ابتسامة ارادها انعم ما تفتحت عنه شفتاه وهو يقول في قرارة نفسه

— « لا يمكن لنورا ان تنساني » ،

فتبتسم الام ، وتبتسم المرأة الثانية ، في وقت واحد ، ابتسامتين متشابهتين — يخيل لسليم ، وهو في لحظة اشراق ، انهما لسان السخرية تمده المرأة في وجه الرجل المخدوع كما خيل اليه ان ذلك الدوي انما هو طلقة رصاص اخرى من مسدسات الجماعة ، يوم اقترعت المسدسات

رشاد المغربي دارغوث

* من رواية تاهاتا او نار ونور المعدة للطبع



☆

مـا أنتِ الا خَلقُ عيني وظلالُ حسنك صُنعُ ظنّي
وجمـالُ روحك من صنيـع توهمي وخيـال فني
وليـانُ غصنك صورة في رأي وهمي لا بعيـني
ورنينُ صوتك مـا جرى في مسمعى الا بأذني
وقّعتهِ وشدوتـه نغَماً احبّبه لأذني
وسبحتِ في افقي وكنت لخشيتي اقصيكِ عـني
شطي رقيقٌ واصطخـاب الموجِ في عينيـك مضني
ادنيتِ موجـك وهو بعد تعِلّة بيد التمني
وتعِلّةُ الفنـان اوهـام تـلاحقـه وتضـني
بيـدي أثرتُ كوامنـاً من صبوةٍ عشت بأمني
واقمت تمثـالا جمعت شتـاتـه من كل حسن
هذي جنـايةُ مـا صنعتُ فليته يومـاً يدعني

☆

يا بنت اوهـامي وصنع خواطري ورنين لحني
انا لم يرُعني يا فتـاتي منك صدٌ او تجَنّي
فلقـد حفظت عليّ مـاء الوجه من سُؤل المضن
لا كان الهـامي ولا وحيي ولا قربي وبيني
اني احطّم مـا صنعت عساه يتركني وشأني
واريـق، فوق ثراه كأس توهمي وخمور ظني

احمد عبد المجيد

مدرسة اوس والرمزية

بقلم عدنان الذهبي

☆

هنالك اوجه شبه عدة تجمع بين المدرسة الاوسية الزهيرية، التي كانت تعيش في الجاهلية العربية ، وبين مدرسة البرناس التي حمل مشعلها ادباء فرنسا في اواسط القرن التاسع عشر المنصرم . واما هذه الاوجه ، فمنها ما يتعلق بمفهوم الادب نفسه ، ومنها ما يتعلق بالوسائل التي تحقق هذا المفهوم ، ومنها ما يتعلق بالخصائص الفنية التي طبعت ثمرة هذه المفاهيم مجتمعة . . . وسنرى ان شعراء كلتا المدرستين يدينون بمبادىء فنية واحدة : يؤمنون بها ويعملون لها ، مع هذا الفارق الذي يميز المدارس الادبية عند الاعاجم من المدارس الادبية عند قدامى العرب : وهذا الفارق هو انه بينما نرى شعراء البرناس يعون مذهبهم ويفلسفونه ويبشرون به ويدافعون عنه ، نرى الشعراء الزهيريين يعيشون مذهبهم بصورة فطرية : لا يفكرون في مميزاته ولا في الاسباب التي دعت اليها ولا في النتائج التي قد تنشأ عنها وهلم جراً مما يجب بحثه في كل مذهب . . . وهذا الفارق سيظل يميز الادباء الغربيين من الادباء العرب القدامى : فالغربيون يفلسفون مذهبهم ، ويتقيدون بكل ما تدعوهم اليه فلسفتهم الادبيةهذه ، واما ادباء العرب ، وبصورة خاصة الجاهليون ، فقوم يعيشون الى حد كبير عـلى الفطرة : ولذلك ، فلا عجب بعد هذا ان نرى شعراء البرناس مثـلًا حين تقيدوا بمبادئهم الفنية — ولا سيا بفكرة الفن للفن — لا عجب ان نراهم يعرضون عن المجتمع وضوضائه ليعيشوا من اجل فنهم في بروج عاجية ، بينما يظل الشعراء الزهيريون ، رغم ايمانهم الفطري بفكرة الفن للفن هذه ، يظلون نموذجاً للشاعر العربي القديم : يتكلمون باسم قبائلهم ، ويعملون لها ، ويعيشون من اجلها ، وما منهم صعلوك او طريد او منبوذ . . . فان تختلف المدرسةالزهيرية في شيء عن المدرسة البرناسية اذن ، فاختلافها في الحقيقة هو في هذا الوعي المفقود، وبالتاليفي الاثر الفني الذي كان يجب انيتركه هذا الوعي في حياة الشعراء : وقد كان يحق لنـا ، لولا هذا الاختلاف ، ان نسمّي المدرسة الزهيرية — ولكل ادب برناس— بالبرناس العربي .

فلقد كان شعراء البرناس يؤمنون بفكرة الفن للفن[1] ايماناً قوياً قد ترك اثره في حياتهم ذاتها ، وكذلك الشعراء الزهيريون ، فانهم وان لم يصلوا الى هذا المفهوم الواعي فقد احسوه وعاشوه بشعرهم وبسلوكهم الفني تجاه هذا الشعر — وهذا كل ما كانوا يستطيعون فعله — ، كذلك كان من نتيجة هذه الفكرة انرأينا شعراء البرناس يصرفون عنايتهم كلها الى القالب يهذبونه وينمقونه، وكذلك الشعراء الزهيريون، فهم اول من نعرف من شعراء العرب الفنانين الذين التفتوا الى العناية بالشعر وتهذيبه . . . ثم الىجانب هذا وذاك قد كانشعراء البرناس—وهذا من تأثير عصرهم الوضعي— ماديين حسيين يعتمدون في شعرهم على كل ما تأتيهم به الحواس ، ويتطلبون من شاعرهم ان يتقيد بالواقع يصوره عـلى حقيقته ، وكذلك الزهيريون فقد كانوا ، وبصورة فطرية ايضاً ، حسيين ماديين يعتمدون على كل ما تأتيهم به حواسهم المختلفة يصورونه ببساطة وصدق ، حتى لا يتورعون ، كما نرى هذا في شعر اوس ابن حجر بصورة خـاصة ، من ذكر اشيـاء واقعية نتزه

---

(١) تتلخص فكرة الفن للفن بهذه الجملة التي نقتطفها من كتـاب مارتينو (Parnasse et Symbolisme) قال : « كلا ان الفن لم يوجد للانسانية ولا المجتمع ولا للاخلاق ولا لغير ذلك . . . انه وجد لذاته ، انه الفن للفن . . . »

كتاباتنا هذه عن ذكرها ... نعم ... وهكذا يتضح لنا ان المدرستين متقاربتان بمفاهيمها الادبية والفنية ... ولكن ، هل معنى هذا التقارب خلو شعر المدرسة الاوسية من النفحة الرمزية ما دام المذهب الرمزي والمذهب البرناسي على طرفي نقيض ؟ !.

اما انا فقد كنت احمل هذه الفكرة آن كنت امام دواوين الشعراء الزهيريين ادرسها واحمص اشعارها ... ولكن شاءت التجربة ان عثرت على نفحات رمزية جد رقيقة في شعر هؤلاء الحسيين ، وليس غريباً ان نجد هذا عندهم . فعلاوة على ان ادبنا العربي لم يخضع للظروف التي خضعت لها الآداب الغربية لنطلب منه ان يكون صاحب مدارس متميز بعضها من بعض تمام التميز ، فنحن نجد الرمزية في ادب احد اعلام البرناس الاقحاح نفسه ، وهو تيوفيل غوتيه (T. Gautier) . وسنرى ان هذا النوع من الرمزية يشبه كثيراً رمزية زهير ... وها نحن اولاء اذن نميل الى دراسة هذا الشعر الرمزي[2] عند الزهيريين ، وسنتناول اول ما نتناول شعر اوس بن حجر ثم شعر زهير بن ابي سلمى ثم شعر النابغة الذبياني ، واما الحطيئة وكعب بن زهير فسندرسهما ان شاء الله مع طبقة الشعراء المخضرمين لبيد وحسان والخنساء وسويد وغيرهم ...

اما اوس بن حجر ، وفي الاغاني طرف من اخباره ، فنحن لم نعثر له في ديوانه الا على ابيات رمزية متفرقات ... منها قوله في قصيدة لامية رائعة يرثي بها فضالة . وهي قصيدة قد ابتداها بالبكاء على الفقيد ثم مال فيها الى تعداد مناقبه وذكر شيمه وفضائله الى ان قال :

لا زال مسكٌ وريحان له ارج ... يجري عليك بصافي اللون سلسالِ
يسقى صداك ومساه ومصبحه ... رفهاً ورمسك محفوف بأظلال

وقد يسألك الذين لا يفقهون شيئاً في امر الرمزية : وهل يجري المسك والريحان على الميت ؟ ! . ام بالله هل تجري الالوان الصافية وغير الصافية ؟ ! . . وفي اي غاية تجري ؟ ! . . ألسُقيا الصدى ؟ ! . . وهل الصدى يسقى ؟! . . واين ذا نجده لنسقيه ؟! !. وغير ذلك من هذه الاسئلة البالية ... ولكن لو علم هؤلاء ان الرمزية ابعد غوراً مما يظنون وان رموزها التي يظنونها متنافرة يجمع بينها منطق باطني هو منطق العاطفة والخيال ... نعم لو علموا هذا لرأوا ان شاعرنا عندما قلّب طرفه فيمن حوله رأى الناس كلما ذكروا فضالة اثنوا عليه ثناء عبقاً يذكره باريج المسك والريحان ، وكلما تذكروا فضالة عددوا مناقبه ومفاخر حياته وقلبوا صفحات سيرته فما وجدوا فيها الا نقاوة صافية اللون وطهراً ... ثم لرأوا ان شاعرنا يبتهج لهذا العبق الذي يضوع من ذكرى فقيده ... فتأخذه هزة النشوة ، وما يكاد يفتر ثغره عن ابتسامة هاربة حتى نراه يجم قليلاً ... انه قد ذهب به خياله بعيداً ... انه قد ترك الارض ومن عليها وذهب يطوف في الاجواء السماوية حتى اذا ما رجع تمنى ان يكون ثناء الناس رحمة تتنزل عليه من عند الله ، وتتنزل في كل وقت ، بل ان يكون ثناء الناس سحائب تحف برمسه وتسقيه ... وهذه الحالات النفسية نجدها نفسها في بيت رمزي آخر يرثي به اوس فضالة هذا : والبيت من قصيدة لامية ثانية يقول فيها بعد ان عدد مناقب فقيده وشيمه :

لا زال ريحان وفغو ناضر ... يجري عليك بمسبل هطال

ولا شك في ان التصوير في البيتين الاولين اجود ... ومن الحسن ان نذكر هنا بيتين رمزيين لاحد تلاميذ المدرسة الاوسية وهو النابغة الذبياني . وهما بيتان يعسان عن بعد هذه الاجواء الرمزية . قال النابغة يرثي النعمان بن الحارث الغساني :

ولا زال ريحان ومسك وعنبر ... على منتهاه ديمة ثم هاطل
وينبت حوذاناً وعوناً منوراً ... سأتبعه من خير ما قال قائل

ولا يخفى ما فيهما من قوة الايحائية تذكرنا بالاجواء النفسية التي كنا فيها مع اوس . ولكن في الحقيقة ان للبيتين الاولين ايحاء اقوى من ايحاء هذين البيتين ، ولا سيما وقول النابغة هنا في البيت الثاني (سأتبعه من خير ما قال قائل) قد اثلج كثيراً من ايحاء الرموز التي قبله ... ولعل النابغة اغار على صور استاذه فلم يُجِد ...

ثم من رمزيات اوس ايضاً قوله :

اطعنا ربنا وعصاه قوم ... فذقنا طعم راحتنا وذاقوا :
فمال بنا الغبيط بجانبيه ... على اركٍ ومال بنا افاق

ولا شك في ان البيت الثاني لا نستطيع ان نتقيد من اجل فهمه بمعنى الالفاظ اللغوي بل يجب ان نتعداه الى المعنى الايحائي .. ونحن اذا ربطنا هذا البيت الرمزي بالبيت العقلي الذي قبله رأيناه يصور لنا مبلغ نشوة شاعرنا وقومه حين اطاعوا ربهم وعصاه

(۲) لشعراء هذه المدرسة رموز كنائية ايضاً – والرمز كما فهمه القدامى سميته بالرمز الكنائي لاني رايتهم جعلوا الرمز نوعاً من انواع الكناية – وقد درست هذه الرموز الكنائية مع رموز الجاهلية الكنائية في فصل خاص . . . ولذا اقتضى التنويه . . .

غيرهم : لقد خيّل اليهم ان البلدان — وافاق او « افـاقة من منازل المنذر » كما جاء في تاج العروس — ومن عليها تميل بهم . . .

ثم هنالك بيت رمزي آخر لاوس بن حجر ، وهو قوله :

ولست بطارق الجيران مني ذباب لا ينيم ولا ينام . . .

ولا يخفى ان شاعرنا هذا لم يتقيد بالمعنى اللغوي للالفاظ . . . والا أصحيح ان الانسان قد استطاع ان يسيطر عـلى الذباب فيسيره كيف ما يشاء . . . والذباب كما نعلم حيوان صغير طائر يعتمد من اجل غذائه على دم الانسان يمتصه بعد ان يعمل ابره في الجلود ؟ ! . ثم هل صحيح ان الذباب لا ينام . . . كلا . . . ونحن اذا تركنا خيالنا يرتع في مسرح العلاقات والمشابهات راينا ان هنالك في ذهن الجاهلي علاقة بين الشعر والذباب . . . ذلك الشعر الذي ينفذ ما لا تنفذ الابر : ذلك الشعر الذي هو في الحقيقة لا ينيم ولا ينام . . . ولكن شاعرنا — وذبابه فعلًا وقح — يعلن لجيرانه انه قد احجم عن الهجاء وانه راح يودع العيش سالمًا . . .

فهذه اذن رموز اوس الجميلة . ولننتقل الى دراسـة رموز الفنان زهير بن ابي سلمى . وابن ابي سلمى شخصية ضخمـة في الادب ، ولذلك لا عجب ان نرى بعض الخرافات والاقاويل تحيط بها . . . اما رمزياته فعديدة . واجمل هذه الرمزيات قوله في هجاء آل حصن بعد القصة التي حصلت لهم مع رجـل غطفان اضافوه وكان مولعاً بالقمار . فقامر مرتين وقمر ، وهم في كل مرة يردون عليه ماله . . . ثم قامر في المرة الثالثة على ماله وامرأته فقمر . . . فلم يردوا عليه شيئاً . . . فشكا امره الى زهير — وزهير كما رأينا في المقدمة شاعر قبيلة — فهجاهم بقصيدة همزية طويلة يقول فيها لذلك الرجل الذي فعل هذه الفعلة مع ضيفه :

تلجلج مضغة فيهـا انيض اصلّت فهي تحت الكشح داء
غصصت بنيئها فبشمت منهـا وعندك لو اردت لهـا دواء
واني لو لقيته واتجهنـا لكان لكل مندية كفاء

ونحن نعلم كيف كان القدماء — مثل ثعلب والمبرد والاعلم الشنتمري — يشرحون هذه الابيات ولا سيما البيتين الرمزيين الاولين ، وكيف انهم تقيدوا في شروحهم بالمعنى اللغوي الحقيقي للكلمات حتى وقعوا في ذلك التناقض اللغوي الذي لاحظه السيد علي مرصفي[٣] . وانا اعجب كيف لم يصل القدماء الى المقصود من هذه الابيات مع ان لها قوة ايحائية كبرى تنقل السامع من جو

(٣) راجع كتاب (رغبة الآمل في كتاب الكامل) الطبعة الاولى الجزء الاول ص ٨٧ و٨٨ .

المحسوسات اللغوية الى جو المعنويات التي يرمز اليها الشاعر . . . فلقد ظنوا ان زهيراً كان يتكلم عن المال الذي اخذه هذا الرجل « فلا هو يذهبه ولا هو يرده كما يلجلج المضغة فلا يبتلعها ولا يلقيها[٤] » كما يقول الاعلم الشنتمري الذي قال ايضـاً في شرح قول زهير غصصت بنيئها « ان هذا المال الذي اخذته كمضغة نيئة غصصت بها فبشمت عنها وعندك لو اردت لها دواء . ودواؤها ان ترد هذا المال الى اهله . . . » الخ . . . وانا ارى ان هذا الشرح متكلف وان زهيراً كان لا يقصد اليه ابداً . . . بالله كيف تكون المضغة تلجلج ثم تكون داء تحت الكشح ؟ ! . . . ثم كيف بشم منها وهو لمّا يمضغها ولمّا يبتلعها ؟ ! . . . ولكن لنترك جو المحسوسات اللغوية افلا نحس مع الشاعر ان ذلك الرجل الذي يلجلج مضغة فيها انيض رجل لا ينفك يردد فعلة قد ركبته عادتها ؟ ! . . . نعم ويا ليت ان الامر كان هذا فقط . . . بل ان مضغة هـذا الرجل قد اصلّت وظهرت رائحتها النتنة حتى عُرف بها وحتى امست داء دفينا متأصلًا تحت الكشح . . . مسكين هذا الرجل ، الظاهر انه ضعيف الارادة قد اشفق عليه زهير ، ها هو يغص بنيئها اي ها هو تجر عليه عادته هذه الكثير من الآلام والاحزان . . . وها هو قد بشم منها اي ها هو قد امتلأ شتائم وفضائح . . . وعنده لو اراد لها دواء . . . نعم عنده ذلك ولكنه ضعيف الارادة . . .

هكذا اذن نحن نفهم هذه الابيات ، ولا اظن زهير يقدم على هجائه وهجاء قومه لولا هذه العادة المتأصلة فيه التي ربما كانت قد دفعته الى ان يردّ على ضيفه المـال مرتين ليصـل منه الى امرأته . . . وهذا غير بعيد ، والرجل ادنى من هذا ، ولولا ما هو عليه من العادات القبيحة لما وصل الحد بزهير المتعفف الى ان يقول فيه :

واني لو لقيتـه واتجهنـا لكان لكل مندية كفاء

هذا البيت الذي كان قدامة يعده « افضل بيت في الاشاره » كما جاء في العمدة . . .

المقطوعة الثانية لزهير عثرنا عليها في ميميته الشهيرة :

امن ام اوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم .

حيث نراه بعد ان يصف الدمن والاطلال ، وبعد ان يتذكر الاحبة وسفرهم يصل الى مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف ، فيذكر كيف تحملا دية القتلى في حرب داحس التي نشبت بين

(٤) راجع كتاب (ديوان زهير بن ابي سلمى شرحه الاعلم الشنتمري) نشر المكتبة التجارية ص ٧٦ .

عبس وذبيان ، ثم بعد ان يصف الحرب يقول في تلك القبائل التي نقضت الصلح :

رعوا ما رعوا من ظمئهم ثم اوردوا   غماراً تسيل بالرماح وبالدم
فقضوا منايا بينهم ثم وردوا   الى كلإ مستوبل متوخم . . .

وهذه هي الصورة الرمزية التي عثرنا عليها في القصيدة كلها ، نعم لقد بدأ زهير بصورة حسية قوية حين شبه هذه القبائل بالبهم وحين وصفهم بصفات الحيوانات . . . ولكن يجب ان لا نكتفي بهذه الصورة الحسية فان للبيتين قوة ايحائية تحملنا الى جو المعنويات التي يشير اليها زهير بظمئهم وبكلأ مستوبل متوخم : والظمء هو ما بين الشربتين وزهير يرمز به الى الصلح والى هدوئهم فيه ، وكذلك الكلأ نبات مائي ولكن ابن ابي سلمى يرمز به — وقد جعله مستوبلاً متوخماً — الى ما صاروا اليه من فساد ووخامة من امرهم . . . ولا يخفى بعد هذا ان هذه الرموز قد جرتها الصور الحسية التي تحيط بها وانها لم تأت من تلقاء نفسها كما في المثال الاول . وبهذا يشبه زهير تيوفيل غوتيه مع ذلك الفارق الذي لاحظناه في المقدمة وهو انه بينما نرى تيوفيل غوتيه يتعمد الرمز يأتي به زهير عفواً وبديهة . . .

ومن رمزيات ابن ابي سلمى ايضاً قوله الجميل :

صحا القلب عن سلمى واقصر باطله   وعري افراس الصبا ورواحله . .

حيث نرى هذا القلب الشيخ قد رحمت ايامه الماضية افراسه الهوج . . . تلك الافراس التي كان يركبها ايام كان على استعداد دائم لان يقضي وطره من الصبا الذي تخيله زهير جهة من جهات المسير كالحج والتجارة مثلاً . . . ولكن الآن فها هو قد شاخ . . وها هو قد عُرّي هذا كله : انه قد سلا . . . انه صحا . . .

ولا بد لنا قبل ان نترك هذه الرموز الزهيرية لا بد من ان نشير الى قول زهير :

وفارقتك برهن لا فكاك له   يوم الوداع فامسى الرهن قد غلق

حيث نرى شاعرنا لا يصرح بان ليلاه قد ذهبت بلبه وعقله ، او ان وجدانه كله عندها . . . بل نراه يرمز الى هذا كله بهذه الاشياء الحسية التي تخيلها وهو يعاني بعد ليلاه — وهذه الاشياء قريبة من متناول خياله في الجاهلية — فاتى بها لتصور حال نفسه المقيدة تلك : ترى لماذا لا ينفك يذكر ليلاه ؟ ! . ألأن ليلاه اخذت قلبه رهناً . . . ثم فات وقت فكاكه فغلق ؟ ! . . ما اصعب الفراق ! ! .

اما النابغة الذبياني [٥] شاعر الجاهلية المطبوع فهو مثل زهير من الشعراء المعروفين معرفة جيدة . وقد عثرت في شعره على نفحات جد رقيقة هي لعمري من خير رمزيات الجاهلية . . . منها قوله في احدى اعتذارياته :

وعيد ابي قابوس في غير كنهه   اتاني ودوني راكس فالضواجع
فبت كأني ساورتني ضئيلة   من الرقش في انيابها السم ناقع
يسهد من ليل التمام سليمها   لحلي النساء في يديه قعاقع
تناذرها الراقون من سوء سمها   تطلقه طوراً وطوراً تراجع

وانها والله شحنة من العواطف المتموجة التي ما تزال ندية : عواطف قلب يتدحرج على سلم من الخوف واليأس والحزن والقلق والحصر . . . نعم ارأيت الى هذا الوعيد الذي دب الى مسمع النابغة فشل حركته كأن قد ساورته افعى شريرة ؟ ! . . انها الصدمة الاولى التي تأتيه من ابي قابوس ؟ ! . . . وكيف هذا ؟ ! . . . لعل الخبر كذب ! ! ! اصحيح ان النعمان اوعده . . . وكيف يصدق هذا وهو من المقربين منه . . . عواطف تنساب من جديد الى خلده انسياباً . . . عواطف قد اقلقته واقضت مجلسه : عواطف تلدغه . بل لقد خيل اليه فعلاً ان تلك الافعى لدغته . . . وها هو يعاني آلام لدغها . . . وها هي نساء الحي تأتي اليه بحليها لتضعها في يديه كي لا ينام — ومن عادة الجاهلية اللجوء الى هذه الحلي لتمنع قعاقعها السليم من النوم فلا يدب السم الى قلبه كما كانوا يعتقدون . وكثيراً ما كانت هذه الحلي لا تفيد شيئاً ويموت الملدوغ — ولكن النابغة لا ينام وها هو الليل يطول عليه وهمومه تتطاول . . . انه ما ينفي يسمع همس الوعيد همس الافعى : هذه الافعى التي ما تزال له بالمرصاد . . . انظر اليها انها قد جمع الناس من اجلها الراقين : هم يغنون لها ويطبلون ويزمرون وهي تارة تجيب وتارة لا تجيب لسوء سمها . . . وتارة تترك النابغة وتارة ترجع للدغه والقبض على قلبه . . . آه وما العمل ؟ . . . انه حلف للنعمان ان « الناس قد نطقت بطلاً عليه . . . » ولكن النعمان لا يجيب . . . وماذا يفعل اذن ؟ . . . لا بد من الاستسلام وها هو النابغة عند النعمان يقول له :

فانك كالليل الذي هو مدركي   وان خلت ان المنتأى عنك واسع
خطاطيف حجن في حبال متينة   تمد بها ايد اليك نوازع . . .

---

(٥) اشتهر النابغة بهذا النوع من الاستطراد الذي هو الترشيح في البلاغة . . وقد وجدت امثلة كثيرة من هذا النوع عند غيره من شعراء الجاهلية من وقد درستها فلم اجد فيها رمزية . . . ان هي الا سنة ادبية . . . تأثير الوراثة الادبية وهم يقصدون منها معناها الظاهر . . .

ليبيا امس واليوم

بقلم خليل بك الخوري

☆

هذا هو القطر العربي الواقع في شمال افريقيا بين تونس في الغرب ومصر في الشرق تبلغ مساحته حوالي مليون كيلومتر مربع — وقد كان حتى سنة ١٩١٢ ولاية من ولايات الدولة العثمانية السابقة غزته ايطاليا عنوة في صيف سنة ١٩١١ ولم تستطع الدولة المذكورة رد ذلك العدوان — واتفق في ذلك الحين ان دول الغرب كانت تتوقع نشوب حرب عامة تثيرها المانيا وحليفتاها النمسا وايطاليا فاغمضن الاعين عن ذلك العدوان مرغمات .

انقضّت ايطاليا بجيوشها واساطيلها على تلك البلاد وتمكنت من الاستيلاء على سواحلها بعد حرب عوان بينها وبين اهالي ليبيا تحت قيادة زعيمهم السيد احمد الشريف السنوسي وشقيقه السيد صفي الدين السنوسي حفيدي السيد محمد علي السنوسي الاكبر منشئ الطريقة السنوسية وظلت الحرب قائمة بلا هوادة حتى سنة ١٩٢٤ وابلى فيها الاهالي اعظم البلاء فلم يمكنوا الطغاة من الايغال وراء السواحل الا يسيراً — ثم ساد النظام الفاشستي بقيادة الطاغي موسوليني فعمد الفاشستيون الى اقصى التنكيل والتقتيل لقمع المقاومة العنيفة التي لقوها من السنوسيين فدمروا زواياهم ومثلوا بالاهالي افظع التمثيل — وبرغم ذلك عجزوا عن قمع المقاومة فلم تفت في سواعد العرب سياسة القسوة ولم تضع الحرب اوزارها حتى جاءت الحرب الكبرى الثانية فانضم السنوسيون بقيادة الامير محمد ادريس السنوسي الى الدولة البريطانية وحلفائها وحاربوا ايطاليا بكل

ويا لله كم في هذا البيت الثاني من رمزية حية هي اندى رمزيات الجاهلية وابعدها غوراً . . . لقد ليشعر النابغة وشعر انه مدرك لا محالة ، وان النعمان ذاته يحيق به كما يحيق الليل بالنهار فيضيق صدره ويضيق حتى ليخيل اليه ان قلبه تحيط به خطاطيف حجن . . . وارجوك يا صديقي القارئ ان تقف قليلاً بهاتين الصورتين الرائعتين : صورة هذا الخطاف ، وهو حديدة معوجة تحيط بالبكرة وصورة هذا الاعوجاج التي جاءت تؤكد معنى الاعوجاج في كلمة خطاطيف . . . ارأيت اليهما . . . انهما يحملان كل ما يستطيع شاعر جاهلي ان يحمّل الكلمة من ايحاء رمزي ليصور الضيق . . لقد احاطت الهواجس الملتوية بقلبه كما تحيط الخطاطيف بالبكرة . . . ولكن ليس هذا كل شيء : ان هذه الصورة الرمزية نفسها قد جرت في خيال شاعرنا صوراً اخرى تتم صورة الحالة النفسية التي يعانيها ، ان هذه الخطاطيف قد امست في حبال متينة ، متينة متانة حبل هذا الضيق الذي يجر في قلبه انواع هذه الهواجس المتموجة الملتوية . . . حبال متينة تجره الى النعمان . . . نعم الى النعمان ولا عجب فالنعمان كالليل الذي هو مدركه لا محالة ! . . .

حقاً ان غضب النعمان على النابغة قد افاد الادب افادة كبرى . اسمع الى النابغة هذا كيف يصور لنا ايضاً حالة من حالاته النفسية التي عاناها من غضب النعمان عليه قال :

> فبت كأن العائدات فرشن لي ... هراساً به يعلى فراشي[1] ويقشب

ارأيت الى هذا الوخز الذي لا ينفك يعذبه . . . انه يريد ان ينام ولكن هيهات له ان يستطيع هذا . . . لقد خيّل اليه انه على قتاد . . . بل لقد خيل اليه انه مريض . . . وان العائدات اللواتي فرشن له الهراس ما تنفك ايديهن تجدد له هراسه لفرط ما هو متألم من وخز همومه التي لا تنتهي . . .

ثم اسمع اليه يقول ايضاً :

> فلا تتركني بالوعيد كأنني ... الى الناس مطلي به القار اجرب

حيث نرى هذه الصورة الحسية ، صورة اجرب مطلي بالقار تزور عنه الناس يحمّلها النابغة كل ما تستطيع الالفاظ ان تحمله لتوحي بشعور ثقل العبء بغضب النعمان عليه . . . لقد خيل اليه انه اجرب . . . وان الناس يهربون منه . . . بل لقد خيل اليه انه افرد افراد البعير . . . آه . . . شط بنا الخيال ، لنرجع . . . ولكن ، ارأيت معي كيف ان الرمزية — حتى رمزية الجاهليين الفطرية — هي اعمق الآداب غوراً واقربها من اجواء النفس ؟! . .

القاهرة

عدنان الذهبي

ما لديهم من القوة وما زالوا يقاتلون حتى تمكن الحلفاء بمعونتهم من دحر الالمان والطليان وطردهم من ديارهم .

وكان عدد سكان ليبيا يوم نزول الايطاليين مليونين فامسى يوم خروجهم منها مليوناً – هي سياسة الافناء التي نهجها الطغاة الفاشستيون فغدا المليونان مليوناً او دون المليون بدلا من ان يزيدا كما حصل في سائر الاقطار العربية التي شملها العدل والرخاء والامن .

تلك كانت خطة الطغاة تقتيل وتشريد – انتزعوا الاراضي الخصبة من اصحابها الوطنيين واسكنوا فيها مواطنيهم الذين استقدموهم من ايطاليا فكانوا يستلبون الارض ويقسمونها الى مزارع ويشيدون في قلب كل مزرعة منزلا تسكنه عائلة ايطالية وجاؤوا بالالوف من تلك العائلات – وهام العرب على وجوههم في البيداء لا يلوون على شيء وتحول الحضر الى بدو رحل – والبؤس والتشريد والتنكيل والحرمان يؤدي الى فشو الاسقام فهلك خلق كثير وعاد من بقي من اولئك العرب المياميين بدواً رحلا بعد ان اخرجوا من ديارهم – جاءت هذه السياسة الغاشمة القاسية بعد ان فاز الشيخ السنوسي فوزاً عظيماً في تحضير البدو فافسدوا عليه عمله العظيم الذي كان قد قطع فيه شوطاً بعيداً، وهو العمل الذي كان العاهل العربي الملك عبد العزيز آل سعود يعمل مثله في شبه جزيرة العرب – تحضير البدو الرحل وتدريبهم على زراعة الارض والاغتذاء من منتجاتها والتخلي عن الغزو – هذا هو الويل الاكبر الذي انزل الايطاليون باولئك العرب الاشاوس – ظلم لم يحك له التاريخ مثيلا منذ دحا الله هذه الكرة واستوطنها الانسان – ثلاثون سنة من الجور والعتو اضعاف ما عانت اشقى امة في القرون الطوال –

ثم جاءت الحرب الكبرى بين قوات المحور والحلفاء وامست ليبيا ولا سيما المنطقة الشرقية منها ساحة القتال الرهيب في الجو والبر والبحر وكان سجالاً كراً وفراً فاجتاح الارض وما عليها من العمران .

ها انت ايها الزائر ليبيا من الشرق العربي تمتطي من الاسكندرية القطار الذي يسمونه قطار الصحراء – يطوي بك البيداء التي تبتدئ بعيد خروجك من عمران الضواحي في مدينة الاسكندرية – بيداء فسيحة لا يكاد الطرف يرى منها الافق – تلتفت يميناً ويساراً فلا تقع عيناك على شيء من العمران الا القزم النحيف من النبت وتظل كذلك ينساب بك القطار فيقطع افقاً بعد افق حتى تصل الى العلمين ستين ميلاً بعد الاسكندرية حيث وقفت الجحافل الالمانية والايطالية ولم تواصل زحفها – وما تدل العلمين وغيرها من اسماء المحطات بين الاسكندرية وطبرق على قرية او دسكرة – وما هي غير مبان صغيرة يستخدمها عمال المحطة لعملهم وسكناهم وغير بعض بيوت من الشعر اقامها بدو الصحراء . – وبعد العلمين تسرح الطرف لتشهد ما حولك فترى الفينة بعد الفينة في تلك القفار الكئيبة الموحشة ما يجفلك – هل هذا الذي ترى بعيد المدى قطيع من الاباعر او غيرها او قرى – هي لحظات ثم وانت تعلل النفس باقترابك من العمران في ظلمات المفاوز – فاذا دنوت لم ترسوى حطام الطيارات او الدبابات او السيارات او غيرها من آلات الحرب المبعثرة هنا وهنالك . فتتقاقم وحشتك في تلك الفلوات – يطول بك الامر وتتبرم ثم تفجعك فوق ما انت فيه من تلك الفيافي العرصات المسيجة التي قبر فيها صرعى الحرب الاوروبيون المساكين الذين قذفت بهم المطامع للتحارب والموت في اقصى الشرق .

وما تزال تقطع الافاق سبسبا بعد سبسب اربعا وعشرين ساعة حتى تبلغ طبرق في منتهى خط قطار الصحراء، طبرق المدينة العظيمة التي شادها الايطاليون بعد اجتياحهم ليبيا – شادوها مركزا ستراتيجيا لاسطولهم الجبار كما زعموا وقالوا انه قمين بان يضمن لهم السيطرة على بحر الروم الذي ارادوه بحيرة لهم – طبرق التي لم يكن فيها ولا حولها ينبوع ولا جدول يتفجر منه الماء العذب – شادوا فيها المباني السامقة واحدثوا معملين له لاستخراج الماء العذب من البحر يشربونه ويروون به الحدائق التي غرسوا – كل هذا التهمته معركة طبرق فدمرت المدينة تدميرا ولم تبق ولم تذر الا اليسير مما اخطأته القنابل المروعة – وفي بحر طبرق نسف او اغرق معظم ذلك الاسطول الجبار بما عليه من المؤن والجنود .

ثم تركب سيارة من طبرق الى الغرب ولما تزل في مثل ما كنت فيه من المفاوز فتقطع مئة ميل حتى تبلغ درنه ولا تبصر في طريقك الطويل غير الركام من آلات الحرب والدفين من المحاربين – وما درنه سوى واحة على ساحل البحر تحيط بها من سائر الجهات القفار وهي اخصب واحة من واحات تلك الصحراء، تجري فيها جداول من الماء الرقراق تسقي بساتينها الغناء –

وقد شيد فيها الايطاليون المباني الشاهقة وعبدوا الطرق وغرسوا الجنائن وكان فيها الوف من الايطاليين قبل الحرب فروا منها كما فروا من سائر البلاد .

ثم تواصل السير من درنه فتبلغ الجبل الاخضر بعدها بعشرين ميلا — ومساحة هذا الجبل الوف من الكيلومترات يمتد الى الغرب حتى عشرين ميلا قبل بنغازي والى الشمال حتى بضعة اميال من الساحل والى الجنوب بضعة عشر ميلا — وما الجبل الاخضر سوى سلاسل عجيبة من الهضاب — الاودية فيها سهول وقممها سهول وعاصمته مدينة المرج الجميلة

هذا هو الجبل الذى سمي الجبل الاخضر لدوام خضرته في جميع الفصول — هذا هو الجبل ذو التربة الحمراء القانية الخصيبة التي اقتنص ارضه المستعمرون وشردوا اهلها في الصحراء — انشاوا فيه المزارع وغابات الزيتون والعنب واللوز — وينتج الجبل شامل انواع الحبوب وفيه المراعي لقطعان الابل وسائر المواشي والبلاد غنية جدا بالانعام — وهذا الجبل ذو ثروة عظيمة ويعلو اعلى قممه حوالي الفي قدم عن سطح البحر وقد يصبح مصيف شمال افريقيا ومصر — ومعظم ما عداه من ليبيا واحات مبعثرة في البيد

ثم تهبط منه الى بنغازي عاصمة برقه التي كانت تعد من اجمل مدن الشرق العربي بمبانيها العظيم الذي اعطبته الحرب وعطلته وشوهت الكثير من تلك المدينه الحسناء .

كانت ليبيا في عهد دولة الخلافة العثمانية ولاية واحدة مقرها طرابلس فلما غزاها الطليان احتفظوا بالاوضاع الادارية التركية .

فلم تنصرم السنة الاخيرة من معركة افريقيا اي سنة ١٩٤٢ الا وكان انسحب الايطاليون بقضهم وقضيضهم من برقه فلم يبق ايطالي واحد في تلك المنطقة فقد اجلت الحكومة الايطالية جميع السكان الايطاليين المستعمرين المدنيين منذ اوائل المعركة لاشتداد وطيس القتال هناك — فلما زحف القائد الكبير مونتجومري من العلمين الى الغرب صمدت له جحافل المحور ووقعت بينه وبينهم المعارك الهائلة التي اسفرت عن هزيمتهم فاستسلموا او فروا . ثم والى الزحف غربا فلم يصطدم الا بيسير من المقاومة وواصل السير حتى بلغ اقصى الغرب ثم عبر البحر وانقض على صقليه وسائر الجزائر الايطالية ثم على ايطاليا نفسها فدحر جيوشها في عقر دارهم

ومنذ وقف القتال في افريقيا احتل الانكليز ليبيا احتلالا عسكريا وقد خلت برقة من الايطاليين فلم يجد الانكليز فيها رجال السلطة فقد انسحب الايطاليون الحكام والقضاة ورجال البوليس والصحة وغيرهم وكان الحكم كله في ايديهم فتركوا البلاد في حالة الفوضى فاضطر الانكليز لانشاء ادارة عسكرية موقتة في تلك المنطقة وعينوا ضابطاً بريطانياً كبيراً على راس السلطة التنفيذية جعلوا مقره في بنغازي يليه اعوان من الضباط البريطانيين والوطنيين .

ثم احدثوا قوة للبوليس اسموها قوة الدفاع البرقاوية اخذوا رجالها من الجيش السنوسي الذي حشده الامير محمد ادريس السنوسي منذ نشوب الحرب للاشتراك فيها مع الحلفاء . فلما وضعت الحرب اوزارها

في ليبيا استبقوا ذلك الجيش واطلقوا عليه اسم قوة الدفاع الوطنية واخذوا منها ضباط البوليس ورجالهم وبعض رجال الادارة وغيرها . وتقوم هذه القوة بصيانة الامن في البلاد ومن كبار قوادها السيد ابو القاسم السنوسي الذي يشغل الان منصب حاكم مركز بنغازي وهو من انجال السيد احمد الشريف السنوسي الخليفة الثاني ومن مقدمي الاسرة السنوسية .

وهناك ضباط بواسل وطنيون في القوة والبوليس والادارة رفعوا راس الوطن عالياً في الحزم واتقان العمل والنزاهة والشجاعة والاخلاص .

وانشأوا مديرية للمعارف يرأسها ضابط بريطاني وسائر موظفيها من الشبان الليبيين اللامعين اللوذعيين كعلي الجربي والشيخ عبد الجواد الفريطيس وعبد الكريم جبريل . وقد احدثوا مدارس ابتدائية وثانوية يدرسون فيها اللغة العربية ويلقنون العلوم فيها وهذا لم يكن في عهد الايطاليين الذين كانوا يعنون العناية القصوى والاولى بتعليم لغتهم ويهملون اللغة العربية . ولو بقوا عشرين سنة اخرى لامحت القومية واللغة ولأضحت الديار دياراً ايطالية محضة .

ثم احيت الادارة القائمة مديرية الصحة والمستشفيات واستقدموا لها اطباء من المصريين وغيرهم من العرب واعادوا تشكيل المحاكم . وعلى العموم فان الانكليز عنوا بانشاء آلة ادارية عسكرية موقتة لصيانة النظام والصحة والامن والعدل والمواصلات .

اما المنطقة الغربية اي منطقة طرابلس نفسها فقد بقي فيها الايطاليون الحكوميون والمدنيون الا اليسير منهم فرأى الانكليز

انفسهم امام حالة واقعية واقرّوا الادارة القديمة الباقية وانما هم يشرفون عليها اشرافاً وقد عملوا في اقرار تلك الحالة بموجب المعاهدات الدولية .

وهذا هو السبب الذي ادى الى قيام ادارتين منفصلتين واحدة في الشرق ومركزها بنغازي واخرى في الغرب ومركزها طرابلس

ان في ليبيا حاجات ماسّة للاصلاح والتعمير ولكن الادارة العسكرية لا تستطيع القيام بمشروعات واسعة النطاق بسبب هذه الحالة المؤقتة .

وهذا الانفصال القائم ان هو الا انفصال مؤقت سيقضى عليه فور البت في مصير ليبيا .

ولا ندحة لي في استعراض حالة تلك البلاد من ايراد شيء عن الثقافة في ليبيا كما شهدتها .

لم يُعن الايطاليون بتعليم الاهلين لغتهم فان المدارس التي انشأوا كانوا يقتصرون فيها على تعليم اللغة الايطالية والنزر من اللغة العربية ولذلك رأينا المتعلمين هناك يجيدون اللغة الايطالية ويجهلون الا نفراً قليلاً منهم اللغة العربية .

والمثقفون بالنسبة الى اللغة العربية ينقسمون ثلاثة اقسام : الاول المهاجرون وهم الذين غادروا البلاد في عهد الايطاليين فراراً من الظلم والقسوة والتنكيل الى مصر وغيرها من الاقطار العربية فهناك الذين درسوا اللغة العربية في الاقطار التي استوطنوها في هجرتهم كالشيخ عبد الحميد الديباني كبير القضاة الشرعيين والشيخ عبد الجواد فريطيس كبير مراقبي المعارف وغيرهم — والقسم الثاني هم الذين لم يستطيعوا هجران الديار فاضطروا للدراسة في المعاهد الايطالية على انهم ربأوا بانفسهم عن الاجتزاء بالثقافة الايطالية فانكبوا على درس اللغة العربية والاستزادة منها في منازلهم وعلى دراسة تاريخ العرب وجغرافية البلاد العربية وقد رأينا من هؤلاء الفتيان الميامين العدد الجم رأينا علي الجربي وعبد الكريم جبريل وإبرهيم اسطه عمر وعبد الرازق شقلوف وعلي الفلاق وخليل القلال وغيرهم

والقسم الثالث هم الذين لم يتيسر لهم درس اللغة العربية الدرس الوافي

هذا في الحضر اما في البادية فلا يزال البدو وهم الكثرة الساحقة في حالة الامية المشؤومة وقد بدأت الادارة القائمة في احداث بعض المدارس الاولية لتعليم اطفال البدو والمنتظر ان يتسع نطاق هذا المشروع المبارك

ومما يلفت نظر الباحث في حالة العمران في تلك الديار التقهقر العجيب الذي لا تزال تعانيه فان الايطاليين الذين حكموها ثلاثين سنة ونيفاً منذ سنة ١٩١١ يوم غزوها عنوة وعدواناً وانتزعوها من جسم السلطنة العثمانية لم يعنوا قط بترقية الشعب بل نكلوا به اعظم التنكيل — تنكيلاً لم يرو التاريخ له مثيلا — فلم يعلُ هذا الشعب النبيل عن حال الفطرة الايسيراً بينا وثبت الشعوب العربية في الشرق كمصر والشام والعراق الى اعلى درجات الحضارة

وما يقال عن ليبيا ينطبق على عرب الغرب الذين ما فتئوا يتسكعون في مدلهمات القرون الوسطى

والشعب الليبي يملك قابلية للترقي والتثقف لا تقل عن قابلية ارقى الشعوب فقد شهد معلمو الانكليز والمصريين للاطفال الليبيين بالذكاء وقوة الفهم — وهذا الذكاء قد لمسناه جميعنا في ليبيا فهو فطري في الحضري والبدوي — ان الليبي سريع التعلم ونبيه الى اقصى الحدود — فان جميع صغار الموظفين ولم يكونوا يعرفون شيئاً من اللغة الانكليزية والا الضئيل من اللغة العربية قبل ثلاث سنين اصبحوا الآن ملمين باللغتين يصرفون الاعمال فيهما — ولا عجب فانهم عرب والعرب نبهاء اذكياء بالفطرة

ان هذا الشعب النبيل متى سنحت له الفرصة وهي سانحة ان شاء الله بعد زوال عهد الاوتقراطية والاضطهاد سيرقى الى اعلى الدرجات فيبلغ في بضع سنين ما لم يبلغ غيرهم في اجيال

وقد رأينا في هذا الشعب الموهوب تديناً صحيحاً وايماناً قوياً بالله فانهم لم يهنوا ولم يكلوا في محاربة الطغيان ثلاثين سنة متوالية فسفكوا دماءهم في سبيل الدفاع عن اوطانهم ومبادئهم ولم يسأموا ولم يذلوا وهم برغم تشددهم في الدين غير متنطعين ويمجدون العروبة التي يرونها الجامعة الكبرى للناطقين بالضاد مهما اختلفت فيهم الملل والنحل

والبلاد على الاجمال غنية في الكمين من الثروة وقد انفق الايطاليون المال الكثير في سبيل عمرانها على انهم لم يبدءوا في ذلك العمران او لم يشرعوا فيه بصورة جدية الا لبضع سنين خلت قبل الحرب فجاءت الحرب ووقفت مشروعاتهم بل دمرت الكثير منها والشعب اليوم ورجال الادارة العسكرية في حالة القلق وعدم الاستقرار حتى يبت في مصير البلاد . والامير محمد ادريس السنوسي حفيد الشيخ محمد علي السنوسي الاكبر يجاهد ويناضل — وهو امير البلاد غير المتوج وله مكانة مقدسة في جميع الديار فاذا قرر الاستقلال واسناد الامر الى حاكم وطني فلا مرشح لهذا الامر غير الامير السنوسي

خليل الخوري

حشرجة المجهول

☆

مهداة الى الدكتور نقولا فياض

☆

لمحيي الدين الفيل

☆

زورقي سار على اسم الله للمجهول مبسوط الجناح
ضاحكاً يهزأ بالاعماق نشوانَ على كف الرياح
اتعب الامواج فارتدت على اعقابها تلهث من هول الكفاح
وتحدى الشمس في وثبتها فعلى مجذافه سيلُ جراح

☆

زورقي يا ايها المجهولُ من دنيايَ يا حلم الاماني العبقرية
يا افترارَ الصحو من ذكرى ليالينا ويا دمع العشية
يا احتقار القبل الخرساء والصدر على الصدر ودنيانا هنية
يا ارتجاف الكأس عبر الشفة الحمراء يا بلسم آمالي الندية

☆

زورقي يا ايها المجهولُ هل تُرجع أيام هوايَ النضرات
والمنى شيعها النسيان بالامس الى القبر، وماتت ذكرياتي
وشموع الحب، والهفي الى الشمعة في كهفِ شبابي وصلاتي
حلم لم يُبقِ منه الدهرُ غير النشوة العذراء في كأس حياتي

☆

ايمان

☆

لنصوح فاخوري

☆

حمص

لي قلب، اذا تجاذبه النور، دعاني بصوته المستجاب،
كن نصيري، فليس ينفع إلاَّه غليلي، وليس يُذهب ما بي،
قال للعقل مرةً: مل عن الدنيا، وما غلّقت من الابواب
قدم العهد، لست تنفك مطروحاً على غبرة الدجى والسراب
أيها العقل، ما تزودتَ من علمك، والدهر ممعنٌ في الذهاب؟
أيها العقل، قصة العقل، احقاد، وكفر، على مدى الاحقاب

☆

أنا أبصرت سحرةً، فتيقظتُ، ونفَضتُ عندها اوصابي
ورفعتُ الجبين، أستاف آيات سناها، جليةً كالكتاب
وتنفستُ، عبرَ مطلعها الداني، وآمنت بالليالي العذاب،
اذ قلوبُ الورى يضيء لها الايمان سُبلًا كريمة الاحساب
أنا امشي، في إثرهم، واناجي روحهم كل غدوة و إياب،
هي حبي، ومستقريَ يا عقلُ — فأقصر — وخلدها محرابي

من حيــاة شــاب

بقلم جلال فاروق الشريف

✡

الثلاثاء ٤ - ٦

الآن أمد يدي وأتناول القلم وهذه اليوميات لاخط فيها سطوراً جديدة . وبهذه اليد التي تناولت هذه اليوميات القيت بعيداً عني كتب القانون وليست هذه اول مرة افعل فيها ذلك، هذه الليلة وكل ليلة احاول أن اتفرغ فيها لهذه الدراسة الكريهة الى نفسي، والتي لا اجد فيها اي شوق او اية لذة .

لم ادرس القانون راغباً وانما فعلت ذلك مكرهاً فليس من سبيل امامي سوى القانون او الطب وليس اكره الى نفسي من هذين السبيلين . فاخترت اهون الشرين وسرت فيه . وها انا في كل لحظة اصطدم بما أكره وأنفر مما ادرس فلا اسير الا بجهد ولا اواصل الا بمشقة .

شد ما اكره هذه الدراسة المحدودة التي لا استطيع ان أصفها الا بأنها سطحية لا ترضي الفكر ولا تشبع العاطفة . ولكم تألمت لان هذه الظروف المحيطة بي لم تسمح لي بأن اواصل دراستي الادبية في الغرب، ولكم نقمت على هذا المجتمع الذي يأبى الا ان يئد الميول في الصدور فلا يسمح بتفتحها . ولست اجدني الآن الا امام دراسة القانون فلقد فررت منها حتى لم اعد استطيع الفرار، ولا بد لي من التقدم غداً لاجتياز فحص بها، غير اني سأستقبله غير عابىء، ولقد وصل بعدان سار كالسلحفاة . ولست اعلق على نتيجته اية اهمية فلا اشعر نحوها باي اضطراب او قلق مهما كانت، بل ان كل مناي ان اتخلص من الفحص بأي ثمن كان .

لقد انكببت على الدراسة بقدر ما سمح لي به جلدي واصطباري ، وفي اكثر الاحيان لم احاول ان اقسر نفسي على ما تكره فأظل حراً اقرأ عندما تحلو لي القراءة وانام عندما يلذ لي النوم ، والآن بعد هذا الانتظار الممل، اقبل الفحص واقبلت هذه الدراسة الكريهة على نهايتها، ولا اتمنى الا ان تنتهي كما بدأت، فلعل ذلك يبعث في اطمئناناً بعد قلق، وراحة بعد اضطراب . كم اود لو تنقضي الايام سريعاً، واني لافكر ايضاً كم ساسف عليها اذا انقضت . لم اتمتع بالشباب كما كنت اريد، ولعلي تمتعت به اكثر من غيري، الا اني غير قانع بما فزت به . لقد بدأت اشعر الآن اني افنيت ولا ازال افني كثيراً من ايامي في التشاؤم والتطلع الى المستقبل . وسيصبح هذا المستقبل ماضياً كما يقول المتشاءمون، وسيمر الشباب، ولكني لن آسف عليه لاني لم اتمتع به . قد تكون الحياة حلوة مفرحة الا اني لا اشعر بها كذلك . قد تكون لي نفسية مشوهة هي التي تفسد علي هذه الحياة وبهجتها، الا ان الامر الذي لاشك فيه هو اني لا اشعر بان لها اية طلاوة او بهجة .

> . . . وهذه صفحات اخرى من يوميات هذا الشاب تمثله في صراعه مع نفسه ومع المجتمع الذي ابى الا ان يقسو عليه كما قسا على غيره من ابناء الجيل الجديد .
>
> [جلال فاروق الشريف]

قد آسف في المستقبل على الماضي، الا ان هذا لن يكون الا اذا كان هذا المستقبل اشد سواداً من ذلك الماضي . اني احلق في افق الآمال، وابتعد في سماء الخيال ولا اظن الا ان هذا التحليق وهذا الابتعاد ، هما اللذان ينأيان بي عن القناعة بما افوز، وعن الرضا بما اتمتع . اني احلق وابتعد دائماً، وفي كل مرة اهوي واتحطم .

ليلة الاثنين ١٠ - ٦

في هذا اليوم انتهت مرحلة اخرى من حياتي لادخل في مرحلة جديده ما أمرّ هذه الحياة التي ليست سوى مراحل لا تنتهي وسير ليس له آخر .

لو كان لي أمل قريب في الحياة لقصدته وعملت على الوصول اليه بحماسة كي احققه الا ان واقعي الذي اعانيه يجعل آمالي بعيدة وكلما ابتعد الواقع عن الآمال ودق شعور المرء ورهف احساسه، زاد شقاؤه وكثرت شكواه . ولقد كان حرياً بي ان آنف من نفسي لو كنت اشكو الى احد، الا اني لا الوذ الا بنفسي ولا اشكو الا اليها ، فهي التي تعاني وهي التي تشهد على نفسها بما تعانيه .

لقد انتهى مـا كنت انتظر انتهاءه بفارغ الصبر واعلانات نتائج الفحص، وانا غداً سأستقبل فحصاً جديداً بعد ان انتهيت من السابق، هل الحياة هي هكذا، سلسلة من الاختبارات والتجارب؟

لئن كانت كذلك، فمتى يستطيع المرء ان يستفيد مما مر به وتعاقب عليه من احداث؟

لقد كنت انظر الى نجاحي بمنظار اسود ولم اكن لأعتقد اني سأوفق في اجتياز الفحص الاول ولقد وفقت الى ذلك فلمع في نفسي شعاع من التفاؤل. غير اني بدأت اشك في نجاحي في الفحص الثاني. ان الشك بدأ يساورني في شكي نفسه وهذا هو كل ما افادتني به التجربة التي وفقت في اجتيازها.

اشعر الآن اني تعب من نفسي وان من الخير لي ان اتركها وسوادها لاتأمل السماء والكون فان فيها جمالاً لا يقاس بقبح النفس وامتلائها بالتشاؤم واغراقها في الاسى والتحسر.

انا لا استطيع ان اقرأ او افعل شيئاً اذا ما طلع القمر وانسابت اشعته الى غرفتي والقت على ارضها نوراً مستطيلاً كشكل النافذة التي انساب منها، واذا ما أطلت على المدينة من خلال هذه النافذة، ارقب منها القباب والمآذن من بعيد. سوداء قاتمة كأنها في نهاية الافق متصلة بالسماء.

سماء زرقاء، ونجوم تلمع فضية حمراء كأنها شرر يتطاير من نار لم تشتعل بعد ولم تتقد اتقاداً يتصاعد منه اللهيب، وبلدة سوداء تشع منها انوار صفراء تخبو شيئاً فشيئاً لتترك الارض في ظلام والسماء في نور.

من بعيد موسيقى تصل اليّ خافتة هامسة، ومن قريب ضحكات عذبة رنانة، في هذه الليلة الساجية، يرددها صدى الجبل وقد ربضت في حضنه وعلى صدره المنازل تطرف اجفانها ثم لا تلبث ان تكلّ فتغمضها في رقدة غـافية في ضوء القمر.

في الطريق عاشقان يسيران رويداً، يذهبان ثم يعودان وهما يتهامسان همساً رفيقاً ثم يضحكان. اما انا فمن عليٍّ ارقب الليل واتأمله، فغرفتي احسها كأنها قريبة من السماء والقمر والطبيعة.. ما أعمق الانسان القديم وما اروع عاطفته!! عبد الطبيعة وكل جزء من اجزائها فسخروا منه وعدوا ذلك مرحلة مرّ بها الانسان، وفي كل يوم لا يزال الناس يعبدون الطبيعة وينزوي الفنانون في محاريبها متعبدين.

ليل الاحد ١٦ – ٦

على الارض استلقي واتطلع الى السماء لا لاشكو الى الله ولكن لانظر الى القمر ينضح من اطرافه النور فينثال على الكون فيضفي عليه اشباحاً واخيلة تبعث الرهبة والروعة في النفس.

السماء تأتلق بالضياء، والقمر يطغى على النجوم بنوره، فالزرقة العميقة الغور، متشحة بفضة رقيقة تسيل على الارض فتفعل في العقل والقلب، فيذوي العاشق وجداً والمهجور صداً، اما انا، فهنا في شرفتي لا ابرحها، اتمدد لا لاستريح ففراشي ليس بوثير واتأمل الليل لا لاصفه فاني عازف عن كل هذا منشغل عنه، وكل ما افكر فيه هو الغد فقط. فلقد نفد كل ما لدي من مال ولست ادري ما سأصنع غداً، انما الليل والقمر والحب لمن اطمأن الى غده بانه سيجد ما يتبلغ به.

لم يمض هذا العام من حياتي الدراسية الا بشق النفس. لقد كنت استعين على الحياة والدراسة بوظيفة صغيرة لاتسمن ولا تغني، انفق بعض ما اكسبه منها على نفسي والآخر اسد به نفقات الجامعة اما الآن فقد حرمت علينا الوظيفة الانتساب الى الجامعة كما حرمتنا الجامعة من حق التوظف. ولقد نفد كل ما ادخرته حتى اني قد لا استطيع متابعة الفحص. كم عانيت وتألمت، وسخطت على الماضي ويئست من المستقبل الا اني في كل هذا كنت واثقاً اني سأجد ما آكله في الغد، اما الآن فقد زالت هذه الثقة واصبحت امام حقيقة راهنة لا ادري ما سأصنع حيالها.

عيناي متعبتان، وجفناي لا استطيع اسدالهما على عيني ففيهما حرقة والم يلذع فأظل محدقاً في القمر لا استطيع الا ان اراه ولكني لا استطيع ان ادرك سر جماله الا من خلال الفحص والآلام والتفكير البشع في الغد.

كم شقيت بعاطفة انهكتني، وكم كابدت من انفعالات سحقتني، الا اني الآن لا اكابد غير آلام الطوى والغد الذي يفغر فاه فيتركني حائراً لا ادري ما افعل.

لست وحيداً في هذه الحياة، ولكني تركت اهلي في غير هذا البلد لاكفيهم



مؤونة اطعامي ولا تابع دراستي، اما الاصدقاء فكثيرون الا اني كنت اكثر مداراة من ان ادعهم يعرفون حقيقة وضعي، ولقد كنت اميل الى بعض متوسطي الحال منهم نتبادل المعونة، اما الاغنياء فلم يلقوا مني الا كل شموخ وانفة تسوءهم فيعتبون علي عتباً رفيقاً الا ان هذا الشموخ والانفة كانا يسدلان على الحقيقة ستاراً صفيقاً .

لم يستذلني احد، ولم ارق ماء وجهي لمخلوق فلم اقترض من احد مالاً، ولقد كان في بعض الاحيان يتطوع لاقراضي دون سؤال بعض الاقارب ممن لا يمكن ان تخفى عليهم حقيقة الامر، فاقبل ذلك منهم عند الحاجة صامتاً فلقد كنت استثقل الشكر حتى ليخيل الي انه مذلة ولم يكن ليقر لي قرار حتى افي ما اقرضته. لقد كنت احرص على المظاهر الخارجية واحافظ عليها بكل قوة حتى لا يعلم باملاقي احد، وحتى لا انهار امام نفسي فقد كنت استحي من الفقر .

كنت عندما يعقد رفاقي العزم على امر استبقهم في الانفاق وفي تنفيذ ما عزموا عليه ان استطعت ذلك، وان لم اتمكن من ذلك احتلت بشتى الحيل والمعاذير لاتخلص مما اتفقوا عليه دون ان يشعروا ان للمادة اثراً في تصرفي، وكثيراً ما ابالغ واشتط في بعض التصرفات حتى ليظن في الاصدقاء التطرف والشذوذ، وما دروا ان وراءها شعوراً هائلاً بالنقص يدفعني الى ذلك .

لقد جعل مني وضعي هذا عبداً للمجتمع مسخراً له اعمل على ارضائه، وادعي فعل ما يحرص عليه، الا اني كثيراً ما كنت اثور عليه ايضاً فلا ابالي به الا ان هذه الثورة كانت دائماً على حساب نفسي فلا البث ان اتقاص بعدها واشعر كان ثغرة قد فتحت في اعماق هذه النفس فيتملكني شيء من الذعر، واحس انكماشاً يبعث في قشعريرة فلا ادري كيف اتخلص مما الم بي الا بالفرار من الناس والانزواء وحيداً في غرفتي .

كنت اذا اردت الدخول على جمع او زيارة احد، او القيام باي عمل يراني فيه اناس، اشعر باني احتاج الى قوة غير عادية لامزق بها حجاباً يشل ارادتي، وحاجزاً من الدجل والتهيب يقف في وجهي، فاذا مزقت ذلك الحجاب بطفرة، وخرقت ذلك الحاجز بوثبة، استطعت ان افعل ما اريد، الا اني اعود بها فاشعر بحاجة الى الراحة والانفراد كاني قمت بعمل مرهق. لقد كنت اعاني الكثير حتى استطيع ان اعيش حياة اجتماعية قايلة.

الاثنين ١٢ - ٧

ايام ٢

مضت تنيف على الشهر، وانا في هذه القرية موظف فيها، مستغرق في عمل لا ادري له نهاية، كل يوم من الشروق حتى ما بعد الغروب، منكب على عمل متصل منهك، اساوي به كل شيء. فلا يراودني اي فكر ولا يساورني اي أمل او يأس، وانما هي جامدة وافعال متشابهة لا تدل على فعالية انسانية، وانما على جمود وآلية، تنهك الجسم ولا تشعر الروح بوجودها، فلا تدع للمرء اي مجال للتفكير في غير الحاضر، فتستقبله كل يوم اعمال تجري على نسق واحد، بلغت من الكثرة حد الارهاق الذي يغلق ابواب الفكر ويحول بين الانسان وبين حياة انسانية صحيحة تعرف الحزن والسرور والامل واليأس .

كل ما اعانيه الآن هو التعب الجسمي فقط، فليست بنفسي ازمات، وليس بي شيء من عواطف تغمر الروح وتهزها فتتفتح النفس للانفعالات وتتغذى بالقلق وتنمو به احس كاني تخليت عن كل شيء. فانا منصرف الى لا شيء بالنسبة لي، فهذا العمل الذي امارسه في هذه القرية تحسنه الآلة اكثر مني، وهذه الوظيفة التي تثقل على نفسي بعملياتها الحسابية التي لا يتقنها المرء الا اذا خلا من كل عاطفة وخضعت تصرفاته للعادة وازدادت في افعاله الآلية والمحاكات الرياضية الفارغة التي تسلب الحياة معناها الانفعالي العميق .

لقد استطعت بهذه الوظيفة ان افر من نفسي فلست استطيع ان اخلو اليها الساعات الطوال كما كنت افعل . فالعمل مرهق، ولا اكاد انفرد الا لاستغرق في سبات عميق يخفف عني العناء الذي الاقيه.

الا اني بدأت استهجن هذه الحياة وانفر منها بعد ان وجدت فيها شيئاً من الراحة عقب تلك الازمات النفسية العنيفة التي عانيتها في المدينة وكادت تعصف بي .

لقد اضطررت الى قبول هذه الوظيفة في هذه القرية بعد ان أعيتني حياة المدينة فلم اعد استطيع البقاء فيها وانا خالي الوفاض مما يقيم الاود، ولقد اضطررت الى ترك الفحص قبل نهايته لاني كنت واثقاً من ان فرصة هذه الوظيفة السانحة ستضيع اذ لم اباشر العمل فيها سريعاً .

لقد قبلت التضحية بالفحص من اجل وظيفة لا تغني ولكنها تنقذني مؤقتاً من ازمة استحكمت بي ولا سبيل الى الخلاص منها الا كما فعلت وسأضطر الى اعادة الفحص في الدورة القادمة .

الاثنين ١٨ - ٧

بعد

قليل، سأقصد حيث ترتوي روحي من المساء والشفق والغروب، حيث الشمس تغيب خلف الجبال قرب لبنان، وانا امام البحيرة، ارقب الشمس الآفلة، ترسل الذهب على مياه البحيرة

الصاخبة التي تتدافع امواجها مزبدة لتصطدم بعضها وتسير نحو الضفاف لتنتهي على الرمل والحجارة، وتتبدد على الصخور. او ترتد بعنف مدحورة كسيرة تتطاير في الفضاء.

واتأمل من بعد، السماء والجبال، في اقصى البحيرة، حيث تربض بجلال، زرقاء غشاها سحاب حان رفيق بنقاب ابيض خفيف، وفوقها حمرة الشفق، تزداد في احمرارها حتى لتصبح قانية عميقة، كلما اوشك الماء ان يحتضر، ويبعث روح نسائم قوية تزداد فيها برودة الموت كلما اقترب المساء وتداعب صفحة البحيرة بعنف فيعلو هديرها كلما جن الليل ويسمع خفق امواجها من بعيد ويطل القمر فيتلألأ نوره راقصاً على خفق قلب البحيرة، ويهتز معها وينعكس اقماراً جميلة في القاع بين الحصى الابيض المتناثر والاعشاب والقواقع والاسماك.

ما اجمل ان يتمتع المرء كل ليلة بمثل هذا المساء، وكم يشعر المرء بالهدوء والارتياح عندما ياخذه الكرى وهو يتأمل هذه الصور التي تنبض بالحياة!!

ما اجمل ان يرقد المرء هنا بين الاشجار الحانية، وقرب هذه الساقية، وهذا النهر، وهذه البحيرة يرقب من خبائه الغروب وشفقه، والفجر وغسقه متأملاً في حب يشبه العبادة وصمت يشبه الرهبة والخشوع، هذه الطبيعة التي يفنى فيها الانسان.

كل مساء لا اكاد انهي عملي حتى اقصد البحيرة على دراجتي فادركها قبل الغروب. لقد كانت الشقة بعيدة، الا اني كنت استسهل سير ساعة حتى لا احرم من مساء اقضيه على ضفافها في خباء صغير، ثم اعود في الفجر لائذاً بحمى نسماته المنعشة اسير على دراجتي متمهلا، اتأمل الراعي واقفاً بين قطيعه ملتفاً بثيابه مشتملاً بها متكئاً على عصاه الفخمة، وقد انتصب فلا يتحرك كانه تمثال، بينما تعوي من بعيد حراس القطيع، وتركض مقبلة نحوي، تتراكض خلفي مذعورة من هذا الساري الذي يمزق سكون الصبح ويعكر هدأته بازيز دراجته السارية بهدوء، رفيق على اديم الارض الخصبة بالعرائش المتعانقة والكروم الجاثمة على الارض كانها اشباح ملقاة صريعة على التراب، بعد معركة في الليل وقد بدأ الصبح ينجلي عنها.

واجراس ضئيلة، تخفق بحنان على اعناق القطيع كلما اهتز احد افراده ليقتلع العشب من الارض، او ليرى هذا الذي يعكر على القطيع وحدته ويفسد عليه عزلته، لا يجرؤ على الابتعاد عن الراعي ولما ينقض الليل او تشرق الشمس، وهو بين هذا وذاك يرعى بين الوسن الآخذ به. والصباح الذي تنعشه نسماته. اميال، اجتازها بهدوء. متأملا كل شيء، الشرق المضيء. والغرب المظلم، والقطار الذي يقبل هادراً ينفث الدخان الاسود، ويتلوى في المنعطفات كانه افعوان ضخم ثم ينقض مقتربا

لا تكاد الشمس تشرق حتى ادرك القرية واعود الى عملي الكريه الى نفسي ارقب المساء بفارغ الصبر لاعود الى البحيرة واقضي الليل مع النجوم والقمر والنسائم والاشجار.

جلال فاروق الشريف

دمشق

على اطلال الروح

بقلم عبد اللطيف شرارة

هل تكلفت مرة عناء التفكير في الحالة التي تتخبط بها الروح في أيامنا هذه؟ هل وقفت امام العالم الراهن وجهاً لوجه وتأملت ما يعالج من كروب واوصاب؟؟ هل خطر ببالك ان تنفصل بفكرك لحظة عن الوجود القائم لتشاهد بوضوح اسرار البلاء الذي نشكو منه جميعاً؟؟

. – اذا فعلت ذلك أفضى بك التأمل الى التقاط صوَر تتراءى لك جديدة وما هي بجديدة، غير انها تطلعك، دون غيرك، على مدى المشقة الهائلة التي يكابدها انسان اليوم في حياته، ثم تضعك حيال مشاكل فكرية معتاصة، من شأنها ان تردك الى نفسك لتعيد النظر فيها وتتملى من احوالها وشؤونها، فاذا فيك – كما في غيرك – من النقائص فوق ما تتصور، ولك كما لغيرك من الاخطاء اكثر مما تحسب، وغير ما تظن، وأبعد مما تعتقد.

ومتى وصلت الى هذه النقطة من تأملاتك، تقف على مفترق من الطرق: فاما ان تشعر بعظم التبعة الملقاة على عاتقك كانسان فتصغي لتدرك، وتدرك لتعمل، وتعمل لتسمو وتفرح، واما ان يصعقك هول المصيبة التي أحسست بها في نفسك وحياتك فتقنط وتتراجع كأن لم تشعر بشيء، واما ان تسترسل مع الحوادث الجارية، وتذهب تنشد اللذة حين اعيا عليك السرور، وما اللذة بعد ذلك غير كأس من الخمر، او ساعة من ميسر، او انغماسة في شهوة كئيبة، لا حب وراءها، ولا راحة معها ولا روعة حنين من بعدها...

ولكن تأمل قبل ان تصل الى هذه الحالة الاخيرة... تأمل تجد ان «الطمأنينة» معنى غائب عن حياة الناس في المدن وفي اكثر القرى، فالناس في قلق دائب لا يعرفون له سبباً، فكيف اتجهت وانى التفت ولأي تحدثت، تقع على الوان من الشكوى، واشكال من التذمر، وطرائق من الامتعاض لا نهاية لها، ويواكبها من التصرفات النابية والمظاهر المؤلمة والحوادث المفجعة ما لا قبل لاحد بعدّه وحصره.

غير ان هذه الطمأنينة الغائبة، ليست غائبة فحسب، وانما هي ضائعة، يفتش عنها الناس فلا يجدونها، وعبثاً يبحثون عنها في ارتياد قاعات الرقص ومسارح السينما ونوادي المقاهي، بل هم لا يزيدون في هذه الاماكن، على ان ينسوا انفسهم، حتى اذا ذكروها، رأوا انهم ما يزالون في الضلال يخبطون!... وهكذا، ينفقون عمرهم وهم ساهون.

هذا «السهو» المتصل يشتد ويقوى بما يحيك في داخل النفس من ضلالات جديدة وغوايات جديدة، ينصرف بها الفكر على غير هدى منه الى ما يزيد في تشويشه وارتباكه. وهذا ما حدث لعصرنا الحاضر يوم اصبح عصر سياسة، فهو لا يستشرف الحياة الآن الا من هذه الزاوية الخطرة المظلمة وهي السياسة، فالعامل سياسي، والفلاح سياسي، والتاجر سياسي، واما غير هؤلاء من الافراد، فليس لهم من مرتزق ولا من مهنة غير السياسة، وان هذه الظاهرة وحدها، لتكفي دلالة على مدى الخراب المفجع الذي تغلغل في قرارة الروح الانسانية.

بيد ان فقدان الطمأنينة او ضلال الناس عنها، لم ينتج فقط عن هذا الاتجاه الشامل نحو السياسة، بل كان من نتائجه ايضاً ان افسد السياسة نفسها، فانك لا تلقى مهمة تعكر اليوم صفو حياة الشعوب اكثر مما تعكرها مهمة «الامن»، ولا تلقى قضية تضطرب حيالها ادمغة الامم كقضية «السلام» كأن الازمة التي تنوء بها روح الفرد، وهي الضعف والقلق، سلك كهربائي ينتظم جميع الافراد والشعوب والامم، فلا طمأنينة فردية، ولا أمن اجتماعي، ولا سلام دولي.

تلك ازمة تعاونت حوادث التاريخ ونقائص النفس البشرية على ايجادها، ولها جذورها العميقة البعيدة في كل بيئة وشعب وقطر، واذا كنا نحس اليوم بوطأتها اعنف الاحساس وامرّه، فلأنها اتت على البقية الباقية من مقومات الحياة السامية، وزعزعت الايمان بالمُثل العليا، حتى تهاوت ضحاياها واشلاء ضحاياها في كل طريق.

والحب اول ضحية!

الحب هو «البطل» الذي قضى نحبه غريباً مشرداً محتقراً في هذا العصر، وهو الذي تلقى الضربة الكبرى من المبادىء الحديثة والافكار العصرية التي نشرها بعض المفكرين والفلاسفة (فرويد وتلامذته). واذاعها من بعدهم الكتاب والروائيون، ففقدت «العاطفة» جمالها وجلالها في الاذهان والقلوب، واصبح العاشق

– إن وُجد – موضع سخرية من لداته وأترابه ، حتى انتهى الامر الى تحجير العواطف والحيلولة بينها وبين تمثلها في العالم الخارجي، تمثلا رفيعاً قوياً ، فلا تسمع اليوم بفتاة احبت ، ولا بشاب يحب !!

ذلك ان علماء النفس المحدثين اوغلوا بعيداً – اي اكثر مما يلزم – في تقرير الطبيعة الحيوانية عند الانسان ، حتى جعلوا الانسان يعتقد بنفسه انه حيوان ، لا فرق بينه وبين الوعل او الديك من الناحية الجنسية ، وبالتالي من سائر النواحي الاخلاقية والنفسية ، فافقدوه بذلك كل احترام لنفسه ، وكل تقدير لما يستشعره من احاسيس تعودنا ان نصفها بقولنا : نبيلة او سامية ، فاختفى الهوى العذري اختفاء يبعث على الاسى ، ويجرح كل ذي روح رقيقة متعطشة للجمال الراقي ، وتحول الحب الافلاطوني الى صيغة ساخرة من نفسها ، ضحكة لغيرها ، وحلّت محل تلك الصور العاطفية المنعشة صور مادية شوهاء ، تحملها على التشويه كيمياء المساحيق وفيزياء العطور وفنون التجميل وطرائق الاغواء ، فالعين من هذه المظاهر في خدود ناضرة وسوالف مجعدة ، وقامات تلمح فيها أثر الصنعة الزائفة والرياضات المرهقة ، الا أن القلب منها في قفار موحشة تملؤها الرمضاء ، ويتأكلها البلاء !

وكان فقد الاحترام للطبيعة الانسانية كارثة رعناء ، ليست المخترعات الجهنمية المدمرة في جانبها شيئاً يذكر ، اذ اتخذت الاباحية شكلها المعقول في رؤوس العامة والغوغاء ، وأصبحت فلسفة « مهضومة » لدى الجميع ، ينظرون اليها كما ينظرون الى اي فكرة أدبية او استاطيقية ، بمعنى انها فكرة . والفكرة هي القوة التي تظل واقفة للاعاصير ، فما لنا الا ان نتركها حرة عملا بحرية الفكر ، وما الاباحية في الواقع الا احدى هذه الافرازات التي تفرزها النفس المسمومة الضعيفة الحائرة .

وجاءت الاباحية بهذا الادب الرخو المائع ، يفجر المستنقعات ويزين الاوحال وينشر الاوبئة الفكرية والاخلاقية في كل صقع وناد ، حتى تبدت « العافية الروحية » في حياة شخص من الاشخاص وكأنها مرض ، وهي في نظر الجموع المريضة المحيطة به مرض حقيقي ولا بدع في ذلك فان العاقل بين المجانين مجنون وهم العقلاء !

أما المرأة ، هذا المخلوق الذي يتطلع ابداً ودائماً للحب ، والذي يتقبل الحب على علاته كيف واتاه ، وأنى واتاه ، فقد اضطربت اضطراباً عظيماً . وكان اضطرابها حادثاً طبيعياً لا تبعة فيه عليها ، فهي تشاهد بل عينيها التجلاوين ، ان زعيمها وقائدها وولي أمرها – أي الرجل – غارق في « التبذل » الى أذنيه ، فمن اين لها ان تؤمن بمثل أعلى ، وابوها واخوها وحبيبها وزوجها يضربون لها الامثلة العملية المتكررة في احتقار الانسان والكفر بالكرامة الانسانية ؟ ام كيف تتقيد هي بهذه الكرامة ، وتعمل لها ، وتجهد في سبيلها ، ثم لا ترى من حولها غير الهدامين والعابثين والمارقين ؟ أترى تستطيع ان تفعل وحدها ما عجز عنه جبابرة الادمغة من الرجال ؟؟

على ان اضطراب المرأة في عصرنا ادى الى انهيار الاسس العامة والقيم الروحية في بناء الحياة كلها . واذا المادة هي « الحكم » الاخير والحاكم المطلق ، تتصرف بالاهواء ، والقلوب تصرف المالك بملكه ، وتصرف الاهواء والقلوب على النحو الذي تنتحيه ، وفي الوجهة التي تبتغيها ، فلم يعد للابوة تلك الروعة ، ولا للامومة تلك الروحانية ، ولا للاخوة ذلك اللطف والاشراق ، كأن ثمة مؤامرة حيكت للقضاء على جمال الحياة العائلية ، وافساد العلاقات العائلية ، ظلت تدبر طيلة القرون السالفة . حتى تكللت بالنجاح في القرن العشرين !

والبطولة ضحية ثانية .

وكما اننا نعيش في عصر البغض ، فاننا نعيش كذلك في عصر الخوف فقد انطمست في حياتنا معالم البطولة الروحية وعفت آثارها : الصادقون يعدون على الاصابع ، ويتوارون عن الانظار ، مجهدا الناس في اخفات اصواتهم وايذاء كرامتهم ، بينما المنافقون يلأون الدواوين والارائك والنوادي والساحات ، تموج بهم اقطار الاجتماع في جميع طبقاته ، ويفوزون بتصفيق الجماهير وهتافات الحمقى من بنات الشارع وابنائه ، فهناك خوف شامل من الحقائق ، جعل الناس يتهربون منها ، فضلا عن استقرائها ومواجهتها . وتركهم يفزعون في مواقفهم العامة الى وسائل من التلفيق والمداورة ينخدع بها الخائف عن نفسه ، وتحجب الجماعة عن رؤية الاشياء كما هي . واهم هذه الوسائل وأفتكها بالنفوس ما يسمونه « الدعاية » وخطر الدعاية قائم في الروح التي تصدر عنها والغاية التي تستهدفها لانها تنمي الاوهام في العقول لتعود فتستغلها عندما يحين قطافها ، وفي ذلك ما فيه من خسة ودناءة . . .

والاجواء التي تسممها الدعايات ، مهما كان لون الدعاية ، ابعد الاجواء عن انشاء البطولات الصحيحة ، اذ يتحتم على الفرد الناشيء فيها ، ان يلجأ الى مثل تلك المداورات ، ليستطيع اداء رسالة معينة ، وفي هذا اللجوء وحده انتقاض على مبادىء الكرامة والشرف من ناحية ، وتسليم اولي بصحة الاساليب الخاطئة التي يستخدمها الاخصام ، من ناحية ثانية . هذا بالاضافة الى ان وسائل الدعاية – وكلها مادية خالصة – لا تتاح للمخلصين الاصفياء في الاعم الاغلب أو هي ، بتعبير آخر ، سلاح ماض في يد الشر والخير على السواء .

ولكن الشر ألصق بها وأعلق .

وليست الدعاية نفسها هي التي تمنع نشوء الابطال ، وانما الذي منع نشوءهم حقيقة هو العقلية العامة التي اخترعت الدعاية ، والتي يتقلب فيها المعاصرون وتتحكم بهم اتجاهاتها ، اذ حطمت الهمم وفلت العزائم وردت النـاس الى وضع معكوس من تفكيرهم : رأسه في الارض وقدماه في الفضاء ، ذلك التفكير الذي يجعلك تحسب انك لا تستطيع ان تفعل شيئاً ما دمت فقيراً مغموراً !!

والبطل — كما عرفه كايزرلنغ — هو الذي لا يترك للمصادفة يداً في توجيه حياته ، بل يعمل على تحقيق فكرة يسخر لها وجوده ، ويبرر بهـا وجوده ، فهو بذلك ، نقيض المقامر الذي يترصد المصادفة ويخضع لها كيانه ، فان واتت فرح ، وان لم تواته حزن .

والبطولة لن تتحقق بعد اليوم ، ولن تظهر ، الا في كفاح تلك العقلية المادية التي تحدثنا عنها .

الا ان مثل هذا الكفاح يستلزم شجاعة تقصر عنهـا بسالة الفرسان المغاوير ، يستلزم شجاعة هادئة عاملة صامتة صابرة ، تسير في منعطفات القلوب ، وتغوص في أودية الفكر ، ثم تنزع عن النفوس ما علق بها من مخاوف وأوهام ، فكيف لنا بهذه الشجاعة وعصرنا لا يشكو من شيء شكواه من ازمة الشجاعة التي حلت به ، هذه الازمة التي ألقت به في احضان اللهو والترف ، وسلبت حتى روحه وهو لا يجرأ على اتيان اي حركة ، خوفاً على الحياة !؟

والاريحية ضحية ثالثة !

ومذ اختفى الحب وانعدمت معاني البطولة أصاب الايام قحط بالمرح لا عهد للزمان بمثله ، وسرى الجفاف الى النفوس فلا تهش للجمال ، ولا تستخفها المونقات من المناظر للفن ، ولا تستثيرها مشاهد البؤس للتضحية ، ولا تحركهـا مجالي الطبيعة للاستمتاع بالحياة والاستزادة منها ، فانتشر التشاؤم وعمت النقمة على الكون والحياة والناس ، وأمسى الضاحكون يعبرون بضحكهم عن الم ، اكثر مما يفصحون به عن بشر او فرح .

هنا يتضح هول المأساة التي تتمثل فصولها في روح المعاصر ، فان الفرح لا يكمن في المظاهر ، ولا يغدو على النفس من خارجها بل هو نبع فوار ينبجس من قرارة الروح ، فلا يكاد صاحبه يحتك بالاحياء حتى يفيض عليهم من إشراقه وجماله ، ولكننا اليوم ازاء حالات «مقلوبة» يتحول بها الجمال الخارجي ، حين يدخل النفس ، الى صور مؤلمة محزنة .

ذلك هو السر في انتشار الادب المظلم في هذا العصر اكثر من سائر العصور وذلك هو السر ايضاً في انبثاق الشعر الرمزي — وهو شعر اقرب للكآبة منه للسرور — الذي يحاول ان يعطي الفوضى القائمة داخل النفس صيغتها المثلى ، فان الادباء والشعراء وهم روحانيون بطبيعتهم ، لا يتلقون من الخارج ، خارج حياتهم غير أشياء تجرح الاحساس وتسيء الى كرامة النفس الانسانية ، ثم لا يجدون في حياتهم نفسها ، ما يحملهم على التغريد !

تستطيع ان تتأكد من هذه المأساة وبلاغة اساهـا ، حين تلاحظ ان عاطفة «الاعجاب» نادرة في عصرك هذا ، وان «الحماسة» القديمة مفقودة ، فقل من يتأثر بروائع الفن ، وقل من يتحمس لتغيير وضع يتذمر منه المجموع ، بل ان الموقف من الحراجة والدقة بحيث لا يسمح للمعجب ان يظهر اعجابه ، ولا للمتحمس ان يبدي حماسته ، واذا فعل ، عرض نفسه لسخرية الساخرين ، وسخط الناقمين ، وشماتة العابثين ، ولقي من العنت ما يمنعه ان يعود ثانية الى مثلها .

هذا في حيز الحياة الفردية الخالصة ، فاذا انتقلت الى حياة المجتمع تبحث عن تقاليده وعاداته الجديدة ، عثرت على ضروب من الانقلابات تتناول جذور الحس والادراك عند الناس ، كالهزء بـ«الكرم» والتغني بـ«الاقتصاد» فالكريم لا يجزى عن كرمه الا بتأويل قد تصح وقد لا تصح ، من رغبة في الشهرة او استدرار لثناء الناس او ما اشبه ذلك ، مما ادى الى ضياع سائر الصفات التي كانت ترافق الكرم من حمية ونخوة وشهامة وتسامح !

وضياع هذه الصفات انزل القانون في حيـاة المجتمع منزلة الاخلاق ، ومحا من الوجود سلطة «العرف» الاخلاقي ، فالناس لا يتفقون عمليا على شيء ، الا نزولا على امر الواقع المـادي الذي يسلبهم كل حيلة ، ويقضي فيهم على كل منطق ، ويصرفهم تصريف المادة نفسها .

هذا هو العصر الذي نعيش فيه ، وهذي هي صورته ، بل هذا هو اثر الحضارة الغربية في حياة الشرقيين : لقد قتلت فيهم عاطفة الحب ، وأقصتهم عن نواحي البطولة ، وخذلت أريحيات النفوس وحولتهم الى آلات تتحرك ، ولا من محرك لها غير المادة ، وبريق المادة .

اما المصير ، فلا ادري كيف يكون ، ولكن الموقف يتطلب شجاعة ما بعدها من شجاعة ، فان لم نقدمها خسرنا حتى الحياة التي نتمسك بها . . .

صيدا ! **عبد اللطيف شرارة**

الدن السكران

☆

لرياض معلوف

☆

سان بولو – البرازيل

☆

ثغري وثغرك ضاحكان ومتمتمان معربدان
فالدّن قرب الدن سكراناً يتمتم للقناني !
مثلي كما تمتمتُ في اذنيكِ سرّي من ثوانِ
كم في العيون من الشجون وفي الشفاه من المعاني !
هدباكِ بالاعجاب من حسن العيون مصفقان
مهما تكتمتِ الشفاه يبوح عنها الناظران
ما العمر الا خلوة يسعى اليها العاشقان
قلبي وقلبك في الحياة على المودة خافقان
يا حلمي الزاهي ويا أنشودتي في كل آن !!

☆



من هي !؟

☆

اليها . . . جواباً على سؤال

☆

لابرهيم العريض

☆

البحرين

يا ابنة الحسن ! كم تسائلني عيناك . . من هذه التي اهواها !
كيف افضي بالسر و«هي» قريب منك تصغي الى حديثي انتباها
هل على الأرض كلها غير بدر واحد لف بالبهاء سماها
أفأفضي اليك باسم التي اسمع في أنة الرباب صداها
أفأفضي اليك باسم التي ابصر في غرة الصباح سناها
أفأفضي اليك باسم التي أنشق في هبة الصبا رياها
كيف افضي اليك . . انت التي اعلم مني بما جنته يداها
فاقربي للسماع ، أهمسه في اذنك همساً ، لانني اهوا . . . ها
انها . . . ظبية جعلت لها قلبي كناساً ، فلم يزل مرعاها
طالعي البدر في تجليه حسناً هو لو ينتمي لكان اخاها
هل عرفت التي تعشقتها بعد . . (وها قد تبسمت شفتاها)؟
ما أرق ابتسامها لي اذ ضمت — جواباً على سؤالي — فاها

اسطورة ايطالية بوكاشيو

أصيص الريحان

ترجمة : وديع فلسطين



كان في مدينة مسينا ثلاثة اخوة شبان اورثهم ابوهم مالاً طائلاً نموه في التجارة والبيع والشراء . وكانت لهم اخت تدعى ليزبتا على جانب وافر من الملاحة ، غير انها لم تصبح لسبب او لآخر في زمرة المتزوجات

وكان يعمل في متجر الشبان شاب وسيم طيب ذكي يدعى لورنزو من مدينة بيزا يدير جميع أعمالها ، فأخذت ليزبتا تسارقه النظرات ، ثم سخت بها عليه ، فالتفت اليها لورنزو تدريجياً ، وسرعان ما عزف عن جميع مغامراته الغرامية الاخرى ، وتحول اليها بكل جوارحه يوليها اهتمامه ويجزل لها مثل سخائها في الحب . ولم يمض طويل وقت ، حتى كان كل منهما قد نال اقصى ما يبغيه من رفيقه .

بيد انهما لم يتذرعا بالكتمان ويخفيا سر ما ألف بين قلبيهما . فحدث ذات مساء ان أبصر اكبر الاشقاء ليزبتا تتسلل الى حجرة لورنزو دون ان تفطن الى مراقبته لها ، فثار واحتد ، ولكنه أثر ان يدفن هذا السر بين ألفاف نفسه . وأمضى ليلته بطولها يتدبر الامر بكثير من الفطنة ، ويقلب الحادث من جميع نواحيه بغية الا تفوته زاوية من زوايا الفكر . وفي صبيحة اليوم التالي ، جمع شقيقيه وأفضى اليهما بما رصدته عيناه في الليلة البارحة وما وقف عليه من علاقة ليزبتا بلورنزو ، وتداولوا الامر معاً ، ثم قرروا حرصاً على عدم افشاء سر اختهم وصوناً لسيرتها من القيل والقال ان يتكتموا ما عرفوا مدعين انهم ما رأوا شيئاً وما أصاخوا بسمع الى ان يهيأ لهم بطريقة آمنة النقمة للعار واقصاء لورنزو عن ابصارهم قبل ان يسترسل في غيه . وتحقيقاً لمبتغاهم لم يفتأوا يسامرون لورنزو ويضاحكونه جرياً على عادتهم ، ثم قرروا ذات يوم انهم خارجون للتنزه في الرياض بعيداً عن المدينة ، وصحبوا لورنزو معهم ولما صاروا بعيدين عن العمران في خلوة تكاد لا تصل اليها عين بشر ، رأوا ان الاوان آن لتنفيذ خطتهم ، فانتحوا بلورنزو جانباً وكان أعزل ، ونحروه كالشاة ، وطمروا جثته في بطن الارض وسووا المكان بعدما اطمأنوا الى النأي عن اعين الرقباء ، وعادوا ادراجهم الى دارهم مكدودين .

ولدى أوبتهم الى مسينا زعموا انهم أوفدوا لورنزو في عمل ، فما كان أسرع ما جاز هذا الكلام على سامعيه لان التجار ما فتئوا يجرون على هذا المنوال .

غير ان لورنزو لم يعد ، فاستفسرت ليزبتا من أشقائها عنه في إلحاح وترديد . ولما أعياها السؤال وأضناها الغياب ، عادت الى احد اشقائها تستوضحه سبب غيبته ، فنهرها قائلاً : « ما معنى هذا ؟ وماذا يهمك عن لورنزو حتي تلحفي في السؤال عنه هكذا؟ لا تضجرينا بأسئلتك والا جاوبناك بما تستحقين » .

وكأن سهماً اصاب قلبها فأعياه ، فباتت الفتاة محزونة مكروبة لا تجرؤ على اعادة السؤال عن صاحبها . وكانت كثيراً ما تناديه في منامها مستجدية ، وتناشده ان يؤوب اليها ، ولم تنفك عيناها مذ غادر الدار تذرف الدمع سخيناً ، ولم تبرح شفتاها منذ هجرها ترددان اسمه وتدعوانه .



وحدث ذات مساء ، بعد ما بللت فراشها بدمعها ، ان جاءها لورنزو حبيبها ،

وكان التعب قد أخذ منها كل مأخذ ولانت للنوم كالميت . جاءها في حلم شاحب اللون مهلهل الثياب مخضبها بالدم ، وناداها قائلاً : « ليزبتا ، انك لتنادينني بالدموع . ألا فليكن معلوماً لديك اني ما استطيع الأوبة اليك لان أشقاءك ذبحوني في اليوم الاخير الذي رأيتني فيه » .

واسترسل بعد ذلك يصف لها مكان اقتراف الجرم وموضع دفنه ، ثم قال لها مودعاً ان لا جدوى من استدعائه فلم يعد له بقاء ، واختفى كما جاء . فنهضت الفتاة مثقلة ، ولم يخامرها أدنى ريب في صحة الرؤيا ، وغامت عيناها بالدمع المرير ، وما ان تسللت الغزالة المشرقة الى العالم في الصبيحة تبدد دياجير الظلمات ، حتى استوت في فراشها وهمت — دون ان تطلع اشقاءها على ما انتوت — بان تزور الموضع الذي عينته لها الرؤيا لترى هل كان حلمها حقيقة ام خيالاً .

فزعمت أنها تاركة المدينة بعض الوقت للترويض ، وصحبت معها خادمة كانت تعمل عندهم في وقت من الاوقات ، وكانت تعرف عنهم كل شيء . وهرولت الاثنيان الى تلك البقعة الجدباء ، واقتلعتا من الارض الاغصان اليابسة التي نثرت عليها ، وشرعت ليزبتا تحفر الارض الرطبة . ولم تكن في حاجة الى ان تستغرق في مهمتها طويلاً لانها سرعان ما عثرت على جثة أثيرها التعيس . ولشد ما أدهشها ان البلى لم يتطرق اليها ولم يدب اليها دبيب الفساد . واذ ذاك ادركت ادراكاً لا يقبل الشك صدق رؤيتها .

ولكن أتستطيع ان تندبه في هذه البقعة؟ وهل في مقدورها ان تقبع الى جواره ترطب الاديم بفيض عينيها ، كلا ما كان ذلك في مقدورها فماذا تفعل؟ أتحمل الجسد الثاوي لتحتفل بدفنه بالاكرام اللائق في مكان ما؟ كلا ، لانها لا تستطيع . ولما أعيتها الحيلة ، تناولت مدية وضبطت عواطفها وراحت تعملها في عنق القتيل حتى فصلت الرأس عن الجسد ، ودثرت الرأس بدثار ووضعته في حجر الخادمة . وهالت الثرى على بقية الجسد ، وبرحت المكان دون ان تختلس عين اليها نظرة ، وعادت الى دارها .

وفي الدار انفردت في حجرة ، وأوصدت دونها الابواب ، ورفعت رأس الحبيب بين يديها ، وأشبعته لثماً وتقبيلاً حتى أربى عدد القبلات التي طبعتها على كل موضع من الرأس على الف قبلة ، ولم تستطع جوهرتاها المرصعتان في اعلى رأسها ان تكفا عن السيل كأنها نهر فتحت أحباسه ولم يبق له ضابط . وكانت نفسها تتألم بحرقة حتى ان الرأس غُسّل بماء الدمع كما تغسل الام طفلها .

ثم أتت بقطعة من القماش النفيس وآوت الرأس بين طياتها ووضعتها في أصيص كبير جميل وطمرتها بالطين الخصيب وزرعت فيه بذور ريحان من اجود الانواع جاءت به خصيصاً من سالرنو ، ولم تسق البذار الا بماء عينيها وبالعطور الفاخرة وبأريج الورد وزهر البرتقال .

ولم يكن لها هم سوى ان تجالس الاصيص طوال اليوم ، ولم تذق نفسها الا الى هذا اللحد الذي يضم حبيبها لورنزو ، وكانت لا تفتأ تندي الثرى بدموعها وتسقي الريحان من رحيق عينيها المزخور . وغذى النبات بهذه العناية السابغة الدائمة ، ونهل من الثراء الذي اكتسبه الطمي من الرأس المتحلل المطمور فيه ، وسرعان ما ارتفعت سيقان الريحان تفوح اريجاً يعطر الجو ، ويشيع الجمال في كل مكان ولاحظ اهل الجيرة ان الفتاة لا تحيا الا تلك الحياة المتنسكة المتعبدة ، فعجبوا من امرها ، ورأفوا بالجمال الذي يكاد يذوي وبالعينين اللتين بدأتا تغوصان في محجريهما ، وأطلعوا اشقاءها على جلية الامر قائلين : « لقد تبينا ان حياتها اليومية تسير على هذا المنوال »

فراقب الاشقاء حياتها عن كثب ، ونهروها مرة إثر مرة ان تقلع عن هذه الحياة ، فلم تنتصح لنصحهم او تمتثل لرغائبهم مما أفضى الى انتزاع الاصيص منها قسراً .

ولما ان تبينت فقده ، حتى أصرت إصراراً لا يقبل الحيدة على اعادته اليها . ولما أبى اشقاؤها ، لم تجد سلواناً الا في البكاء والنحيب وسح الدموع ، حتى تهالك بدنها وأمست طريحة الفراش ولم تك تطلب في مرضها شيئاً سوى ذلك الأصيص المعطر بفيح الريحان .

فتعجب الشبان ماذا يدفعها الى الاستماتة في استجداء اعادة الأصيص اليها ، وقرروا ان يروا ما يضم بين دفتيه ، فنزعوا الطين من مكمنه ، وازاحوا القماش ، فرأوا ذلك الرأس . لم يكن العطب قد أتى عليه تماما فاستطاعوا بعد تأمل سحنته ان يدركوا انه للورنزو . وتعجبوا كيف ظفرت اختهم بالراس ولكنهم اسرعوا خشية ان يذاع النبأ الى دفنه في نابولي بعدما سافروا متخفين اليها .

اما الفتاة ، فلم تقلع عن النحيب والبكاء . وطلب اعادة الأصيص اليها ، وماتت وهي تذرف الدمع كأوفى بنات حواء .

وديع فلسطين   القاهرة



١ ــ العرائس

للاستاذ ابراهيم العريض – ١٠٥ صفحات – منشورات دار العلم للملايين – بيروت

كان زادي الشعري من مطالعاتي العربية في الشهر الماضي ديوانين من الشعر لأديبين من قطرين عربيين عزيزين ، هما العراق والبحرين . اما الديوان البحراني فهو لشاعر البحرين الاستاذ ابراهيم العريض الذي قرأنا له شعراً عذباً ممتعاً في المجلات المصرية، ولا سيما « الرسالة » . وديوانه الذي بين يدينا «العرائس» مجموعة من المقطوعات شاء أن يجعلها الى قسمين : غناء ، وقصص ، على أني لست أرى حاجة الى وضع هذين الفاصلين ، لان الديوان كله من الشعر القصصي .

ولعل هذه ميزة لم يشارك شاعر البحرين فيها شاعر عربي آخر في أدبنا الحديث ، فلسنا نعرف شاعراً أولى عنايته كلها هذه الناحية من الادب : القصص القصير ، فكان يجمع الى عذوبة الشاعرية روعة القصص . وعلى ذلك ، يحق لنا ان نعتبر شعر العريض لوناً بديعاً في أدبنا الحديث ، ويعنينا الآن ان نتعرف الى مبلغ التوفيق الذي أصابه الشاعر في هذا الباب .

يقتصر شعر العريض القصصي على اللون العاطفي ، اذ يتناول حباً رقيقاً يتبادله عاشقان متيمان . ولست اعتقد ان على الشاعر القصاص ان يؤلف قصة متينة التركيب قوية الحادثة رائعة العقدة والخاتمة ، ولكن بحسبه ان ينشد شعره في إطار من القصة ، لان على الشاعر القصاص ان يكون شاعراً قبل ان يكون قصاصاً ، وان يوجه جل همه الى الشعر قبل القصة ، لان « القصة الفنية » تستعصي في اعتقادنا على قيود الشعر من الوزن والقافية وضيق العبارة الشعرية . وهذا ما وُفّق اليه حقاً الاستاذ العريض ، فان قارىء ديوانه يحس بان امامه شاعراً قبل كل شيء ، ثم يجده شاعراً قصاصاً .

ولا شك في ان عناصر الشاعرية متوفرة عند شاعر البحرين ، فهو لا يعوزه الحس المرهف او العاطفة الفنية او الديباجة المشرقة او البيان البليغ ، ويشعر القارىء بان الشاعرية تسلس له القياد ، فيأتي بالمعجب الرائع في لفظ رقيق ومعنى عذب .

فاسمعه يقول في قطعة « مي » :

فقلت لها «يا مي» ما الروض ناضراً ... ولا الطير احلى ما يكون لسانا
بأحسن من خدٍّ تورد في الصبا ... وأعذب من ثغر يفيض بيانا

ثم تذوق معي روعة هذين البيتين ، يعبران عن أسمى الحب واشده امتزاجاً في قلبي حبيبين :

أبعد تعاطينا معاً كأس الفة ... يجوز لنا ألاّ نحس صدانا
فمالك تستعدين قلبي على الهوى ... كأنك ما شاطرته الخفقانا !

ونهاية هذه القصة عظيمة الشبه بنهاية كل قصة يؤلفها العريض ويقتبسها عن واقع الحياة :

فعندئذ مالت اليّ بشرها ... فأيقنت انا شيقان .. كلانا
فأدنيت ثغري باشتياق لثغرها ... فما افترّ حتى قبلته حنانا
وطوّق زندي خصرها فتمايلت ... عليه بغنج ربما تتدانى
وقالت «إذن هذا هو الحب» قلت «لا بل الراح» قالت «فلنبل صدانا !»

وانت تشهد هذا المنظر ، الذي اكاد اصفه بأنه سينمائي ، في خاتمة « في نشوة الحب » و « بيني وبينها » و « القبلة الاخيرة » . . . واذا شئت ان تقف على قدرة الشاعر في الوصف والتحليل ، فاقرأ قصيدتي « عروس الماء » و « قلادة » على ان روعة القصص وقوة الحوار وجمال الموسيقى ، كل هذه تتوفر في الاسطورة اليونانية « التمثال الحي » الذي يروي قصة فتاة جائعة أقبلت على مثال فوعدها بان يطعمها حين يفرغ من صنع تمثال لها . . ووقفت أمامه عارية حتى اغمى الليل ، وهو ينحت لحسنها من المرمر مثالاً . وحين انهى هذه الدمية ، كان الجوع قد أودى بالفتاة فاذا هي جسد من غير روح ، ولكنها ما زالت مفترة الثغر للفنان العبقري الذي انحنى بين يديها يبكي ، وما لبث ان اخذ قطعة من الصلد فقذف بها التمثال فشوهت ذراعه . . .

ومضى يعثر بالشيء ويهذي في اختباله . . .
على ان يد الفن قد خلدت في هذا المرمر الصلد !

ويكشف الاستاذ العريض عن مقدرة تدعو الى الاعجاب في وصف راقصة رآها كانت تثير الفتنة والاغراء . ويهزك في

قصيدة « انسانة الحي » حسٌ موسيقيٌ مرهف تشعر به على تفاوت في مجمل القصائد .

ناولته عينها فحنا فوقها الشفاه
هامساً بين قبلتين – تشفان عن جواه
باسان مبلبل – بعض ما جاش في هواه
واسمها في حديثه دائر دورة الحياه

ولا يتسع المجال الآن لتحليل سائر قصائد « العرائس » فاجتزى. بالاشارة الى « الشاعر المجهول » و « ليلة الزفاف » و « أسطورة الخيام » على ضوء رباعياته . على اني احب ان اثبت هنا بضع ابيات بلغت غاية الروعة ، من ذلك قوله :

وكأن الرمال في لجة من كثبها نارة تكتم الرسوم وطوراً تشيها

فقد وُفق الشاعر بالغ التوفيق في استعمال فعل « وشى به » بمعنى فضحه وأظهره ، قبالة استعماله فعل « كتمه » بمعنى أخفاه .

ومن أبياته الآخذة بنصيب كبير من قوة الوصف والخيال :

كأن على يده العود طفل يبث الورى شجوه بالانين
يرنّ . . فتقطر منه القلوب وتأخذ موضعها في العيون

واقرأ اخيراً هذه الابيات الثلاثة في وصف الحب المرمض العميق :

فأريني كيف السبيل فقد أشقاني الحب ان انال رضاك
واذا لم يكن من الموت بد فلتجد لي بكأسه يمناك
فهناني في ان أخرّ لعينيك صريعاً أقضي شهيد هواك

ولكن لا بد لي قبل ان أنهي هذا التعريف بالكتاب من ان أشير الى بعض هنات هينات وقع بها المؤلف ، من مثل استعماله كلمة « سوياً » بمعنى « معاً » في قوله :

اناشدك الحب الذي عهدنا به سوياً كأخفى ما يكون مكانا

ويفطن القارى. كذلك الى ان الشاعر كثيراً ما يثبت كلمة « لكن » في غير موضعها واقامة للوزن وحسب في مثل قوله :

واليوم يشهد رقصها الغني لكن في انفعال

وقوله :

وللبدر في أفقها قبلة تطول .. ولكنها ناعمة

وبعد ، فان الاستاذ العريض قد نظم هذا الديوان الشعري الممتع في أوقات متفاوتة آخرها تاريخاً عام ١٣٥٩ هجرية ، اي منذ اكثر من ست سنوات ، ولا ريب في انه قد نظم قصائد كثيرة بعد هذا التاريخ ، وينبغي ان يكون حظ هذه القصائد من النجاح والروعة والتوفيق اكبر من حظ القصائد التي بين يدينا ، لا سيما وان المؤلف كما يفهم من مقدمة الكتاب شاب في شرخ شبابه ، فهل يطلع علينا الاستاذ العريض بهذه القصائد الجديدة في وقت قريب ، فنزداد ايماناً مع الاستاذ الحوماني – كاتب المقدمة – بسمو الحياة وخلود الفن العبقري في شعر شاعر البحرين؟

٢ – وابل وطل

للاستاذ ابراهيم يعقوب عوبديا – ٨٠ صفحة – مطبعة الرشيد – بغداد

. . . واما الديوان العراقي فيحمل عنوان « وابل وطل » من نظم الاستاذ ابراهيم يعقوب عوبديا. وقد جزّأه المؤلف الى ثلاثة أبواب ، ضمن اولها « ألحان الوطن » وثانيها « أصدقا. المجتمع » وثالثها « آهات النفس »

واما الشعر في « ألحان الوطن » فمعظمه في المديح والتعبير عن الشعور نحو البلاد في إطار من الثناء والاطراء والتقديس . ونحن لا نشك في ان الشاعر ذو عاطفة وطنية صادقة ، ولكنه يعبر عنها تعبيراً عادياً يفتقر الى الاحساس المرهف والخيال الواسع والوصف الدقيق ؛ وليس في شعر هذا الباب ما يهز النفس والروح بقوة الشاعرية وعرامة الشعور وروعة البيان ، وانما هي عواطف ساذجة ، وان كانت صادقة :

فيم الملام اذا أحب فؤادي انا ان هويت فقد هويت بلادي
قسماً بدجلة والفرات وارضها اني نذرت لها جميع ودادي

*

لك يا بلادي ما أردت من الفدا اني وقفت على مناك جهادي
فري اطلبي ما شئته لك حاضر فرضاك مطلبي وحبك زادي

الى آخر هذه التعابير العاطفية التي تعوزها « الفكرة » القوية الآسرة. وفي هذا الباب ايضاً وصف للجيش بلغ حداً بعيداً من الضعف ، اذا قيس بتلك القصائد العظيمة التي وصف بها البحتري او المتنبي او ابو فراس او ابو تمام الجيوش في ايامهم ، على ضآلة عددها وعُددها بالنسبة للجيوش الحديثة . على ان قصيدة « فلسطين والاستعمار » تتميز بنفحة شعرية وإحساس قوي وكده ما حل بهذا القطر العزيز من نكبات ومحن :

ذري العبرات ما يجدي التأسّي وذودي عن حماك بكل قوس
وداوي من جراحك ضمّديها وشقي باعتزامك كل لبس
ولا يخدعك معسول الاماني بسفسطة منمقة وهمس . . .

واما باب « اصداء المجتمع » فيتضمن مقطوعات تتفاوت قصراً وطولا على انها تتسم كلها بنازع الى الحكمة والامثال ، وان

كانت هذه دون حكمة زهير او المتنبي في الروعة والقوة والفكر وهي في مجملها نظرات في المجتمع لا يتوفر لهـا التعمق والنفاذ .

فاسمع مثلاً هذه الابيات:

اذا انت لم تملك لنفسك روعها … بصمتك فاجهر بالذي انت كاتمه
فكتم الفتى ما تكره النفس ذلة … وان كان في التبيان ما لا يلائمه
على المرء ان يلقي عواقب جهره … ويصدم في اقدامه من يصادمه
ومن يخش فليخلد الى الذل صامتاً … فما زأرت في الغاب الا ضراغمه

واحسب انك لم تجد فيها الا المعنى العادي والفكرة البسيطة واذا قرأت قطعة « وقوف » فستشعر لا شك بثقلها في المعنى والوزن

ويقول الشاعر في « شموع »:

هم الناس مها يبهر الناس نورهم … شموع تلظّي برهة ثم تختفي

*

شموع هم الناس الهداة تباينت … متى عصفت ريح المنية تنطفي

فهل تجد في تشبيه الناس بالشموع اي سمو في الفكرة او سعة في الخيال ؟ وكثيراً ما تجد في هذا الديوان ابياتاً من الشعر تدرك بسرعة انها صدى لافكار اتى بها شعراء من قبل كقوله:

وليس يبالي بالعيوب اليفها … ومن عاش رهن السجن لم يشقه القيد

وهو يذكر بقول الشاعر:

انا الغريق فما خوفي من البلل

كما ان قوله :

ونفس الفتى تسمو به مستبيتة … على قدر ما وزنت عليه المطالب

يعيد على شفتيك قول المتنبي:

على قدر اهل العزم تأتي العزائم . . . .

والواقع ان القارىء لا يكاد يجد في هذا الباب ما يثير اعجابه ويكاد لا يقف الا عند قصيدة « الموسيقية العمياء » التي تمتاز بالرقة وموسيقية الوزن :

ان الفنون من الكمال العبقري لمن تؤاتي
من فيضها الغاني اغترفت كؤوسك المستعذبات
الفن بعد الله ارفع ما بهذي الكائنات

واما في باب « آهات النفس » فانت امام شاعر حزين، وعاشق اسوان يبكي طوال ليله ونهاره! ولا استطيع ان اتوصل الى تخيل شاب هذه حاله، اذا تكلم فحديثه الزفرات يصعدها ، واذا صمت فصمته الدموع يذيلها ! على انه — في اي حال — ارق نفساً وادق شعوراً في هذا الباب من البابين السابقين ، وقد يوفق في الوصف كما هو شأنه في قصيدة « حسناء »:

صبغ الجمال نضير وجنتها … بدم الشباب ورقيق الزهر
وجلت سريرتها ملامحها … يا للجمال الطاهر النضر

واسترسل الشعر الاثيث وتوّج رأسها بجدوله الخمري
وتألقت بين النهود قرنفلة يشعّ بريقها الدري
وتأنق اللحظ الدقيق تألق شاعر في فكرة بكر
وتناسق القد الرشيق كما تتناسق الالفاظ في الشعر

فان التشابيه بديعة والاوصاف هنا رائعة . وكذلك القول في (سورة شوق) و (صمت) . ولا ريب في ان الشاعر في هذا الباب اكثر توفيقاً واوفر حظاً من النجاح، الى اشراق في الديباجة وقوة في البيان.

سهيل ادريس

ميسلون

للاستاذ بدر الدين الحامد — ١٦٨ صفحة — مطابع ابي الفداء — حماه

ميسلون ! ذكرى حدث عظيم من احداث هذه الامة تحتل أنصع صفحة من صفحات مفاخرنا القومية . ذكرى مقدسة، حبيبة الى كل قلب من قلوبنا ، يعمد الشاعر السوري المعروف الاستاذ بدر الدين الحامد الى ابرازها في رواية تمثيلية شعرية جديدة .

تقع هذه الرواية في خمسة فصول ، ويدور موضوعها حول فاجعة مملكة دمشق باستشهاد البطل المغفور له المرحوم يوسف العظمه في ميسلون ، وخروج جلالة المغفور له الملك فيصل من دمشق في ٢٨ تموز سنة ١٩٢٠ ودخول الجنرال غورو اليها . ويدور الموضوع ايضاً حول حب متبادل بين بطل سوري وبطلة سورية .

اما من حيث الرواية كرواية فانهـا ليست موفقة لانعدام العناصر التي تتألف منها الرواية : فان موضوعها بسيط في حوادثه وسياقه يكاد لا يثير في القارىء اي عامل من عوامل التشويق التي يفرض وجودها في الروايات ، لا سيما الروايات التمثيلية .

واما من حيث الشعر — وهنا يجب ان نلتمس الغـاية من الكتاب ، لان المؤلف شاعر قبل ان يكون روائياً — فان هذا الكتاب لم يكن ناجحاً ، بالنسبة الى مـا كان ينتظر من شاعر كالاستاذ بدر الدين الحامد . . .

فان ثوب هذه الرواية الشعري لا يرتفع عن مستوى الشعر العادي، الا في بعض الابيات القليلة المنثورة في بعض فصول الرواية ، على انه ينحط احياناً الى الضعف.

واليك هذين البيتين اللذين ينشدهما بطل مأساة الحب ، في الرواية ، متغزلاً بحبيبته ، في موقف كان يجب ان يكون مؤثراً:

أراك في كأس راحي … وفي ابتسام صباحي
أنت الغرام لقلبي … في غدوتي ورواحي . . .

فتأمل معي ايها القارىء ، هذين البيتين واحكم انت بنفسك على قيمتها !

ثم اليك هذا البيت الذي ينشده الطلاب مخاطبين به الملك .

يا ملاذ العرب في النوب انت خير الناس من خير اب

ثم اقرأ ، ايضاً ، هذه الابيات التي يتساءل فيها احد اشخاص الرواية عن الحب :

كيف ذا الهوى يتزل الحشا
كيف من نظرة يذهب الحجى
غادة حلوة تملك الفتى
انا والله حائر في الذي أرى

افلا ترى معي ان البيت الاول وهذه الابيات الاربعة ، هي من الشعر الضعيف من حيث الفكرة والاسلوب واللغة والاوزان والقوافي أيضاً ؟ . . .

هذا ، على ان الرواية لا تخلو ، كما أسلفت ، من ابيات على شيء من الجودة .

منها البيتان اللذان ينشدهما الامير زيد مخاطباً شقيقه الملك :

أتسهر هذا الليل والناس نوّم وتشكو وانت القاب للعرب والفم
علام وفيم اليأس ملكك دونه عجال وغى في ساحها يهرق الدم

ومنها ، كذلك ، بيت يخاطب فيه العاشق حبيبته :

انا تعاهدنا على حفظ الحمى لا رحيل الا في ظلالك يا علم

وفي هذا البيت يوفق الشاعر الى الجمع بين الحب والواجب الوطني .

وخلاصة القول ان رواية « ميسلون » موفقة من حيث الغاية القومية ، وان كانت لم تبلغ اي مستوى فني يليق بفكرتها

رياض طه

الرياضة الشتوية في لبنان

وضعه الاستاذ منير عيتاني بعناية الاستاذ رشيد شقير — ١٨٦ صفحة — مطابع شركة الطبع والنشر في بيروت

كتاب جديد من نوعه غني بمادته يمتاز بأناقة في الاخراج وأناقة في الاسلوب ، ويبحث في تاريخ التزلج وجغرافية المناطق اللبنانية الشتوية وفي الطرق الفنية الحديثة لممارسة هذه الرياضة . وقد قدمه الى القراء معالي الاستاذ هنري فرعون ، بوصفه عميداً للرياضة في لبنان ، بكلمة اعجاب وتقدير هو خليق بها بالاضافة الى المجهود البالغ الذي صرف لاعداده ونشره .

والكتاب في غير شك خطوة جريئة مشكورة بسبيل تنشيط الرياضة الشتوية من جهة والدعاوة الى الاصطياف والاشتاء في هذه الربوع الماتعة من جهة ثانية . ولئن افاض المؤلف في تبيين مختلف حركات التزلج مستعيناً بالرسوم والاشكال واسهب في اسداء النصائح الفنية الى المتزلجين والمتزلجات فانه لم يقصر ألبتة في تصوير المناطق اللبنانية الشتوية تصويراً رائعاً يحببها الى طلاب الراحة ويجعلها قبلة لانظار هواة التزلج .

وبدهي ان كتاب الرياضة الشتوية في لبنان ، سيحتل مكاناً بارزاً في المكتبة العربية التي ما زالت مفتقرة الى هذا النوع من المؤلفات الرياضية القيمة .

اننا نشكر لبطل لبنان الاستاذ منير عيتاني هذا الجهد المبرور يبذله في خدمة الناشئة اللبنانية ، ونهنئ صديقنا الاستاذ رشيد شقير لما اصابه من النجاح في اخراج هذا الكتاب وما خصه بوضعه من العناية الفائقة .

مختار شملي

اخي ابراهيم

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان — ١٠٤ صفحات — المكتبة العصرية — يافا

عرفنا الآنسة الفاضلة فدوى عبد الفتاح طوقان شاعرة عربية بارعة لها اسلوب جميل في النظم ينم عن روح سامية وخيال واسع تميل الى تصوير الحقيقة بريشة الالم . . .

وقد اهدتنا اخيراً كتيباً صغيراً بعنوان « اخي ابراهيم » فوجدنا في قلمها الثري خيال القلم الشعري . وهي اذ تتحدث عن حبيب الى قلبها كأخ تابعة نرى ان قلوبنا تتساق مع ذلك الحديث لانه يحرك كوامن المحبة الاخوية .

وافتتحت الكتاب بهذه الابيات التي تخاطب بها شاعر فلسطين اخاها ابراهيم . . .

اي لحون رعن سمع الزمن بعثتها من نبضات الفؤاد
أودعتها الروح تناجي الوطن فيها فتهتز الربى والوهاد
ثم ترامت صريع الوهن مخضب الجرح سليب الضماد
وامتنع الشدو كأن لم يكن وجذوة القلب استحالت رماد

هذا واننا اذا تصفحنا كتاب الآنسة الشاعرة نجد روحاً سامية تنتقل بنا من عالم الطفولة المرحة ذات الطابع الاغن . الى روح الشباب الحارة الوثابة حتى وفاة الشاعر وجهاده في حياته الخاصة وفي سبيل وطنه .

ولعل الوسط اللبناني وشعراءه الكبار وادباءه لا يجهلون « ابن فلسطين الابر » فهو قد صور بيروت وحسنها ودراسته الجامعية فيها وحبه السامي الذي غرسته في قلبه . وأجدر بالقارىء الكريم ان يضم هذا النوع من الادب الوجداني الصادق الى مكتبته فيطالع :

قصيدة « الثلاثاء الحمراء » فيجد روح الوطنية والشهامة الخالدة .
وقصيدة « في المكتبة » فيلمس الحب العارم واللطف الصحيح .
وقصيدة « الشاعر المعلم » فيطلع على جهاد مربي النشء وحياته

وعلى القصائد «الممرضات» و «الشهيد» و «الجش الذبيح» كلها فتح جديد في الاسلوب والخيال والفكرة – وتختم الآنسة كتابها عن اخيها المرحوم بقصيدة رمزية «مصرع بلبل» وانني اذ اشكر الشاعرة الاخت العربية على هديتها ادعو اخواني الادباء على اقتناء امثال هذه الطرف الادبية .

محسن جمال الدين

نزيل لبنان

الاسلام على مفترق الطرق

تأليف ليوبولد فايس – ترجمة الدكتور عمر فروخ – ١١٦ صفحة
نشر دار العلم للملايين – بيروت

هذا كتاب يطالعك كل ما فيه بأنه غير عادي : هو غير عادي في موضوعه لما ينظر في مشكلة من المشكلات العالمية العظمى ، وغير عادي في دروسه وأحكامه لما يتناول من القضايا التي تهم جزءاً كبيراً من البشرية في حياتها كل يوم ، ثم هو غير عادي من حيث كون مؤلفه مفكراً نمساوياً طاف بالشرق وعرف المسلمين العائشين على هامش الحياة فيه ، واطلع على الثقافة الاسلامية فأحبها واكبرها وخاف عليها الاندثار .

والواقع ان هذا الكتاب من كتب الرأي التي يعتز بها محصول هذا العام الطباعي . وقد اراده صاحبه إعطاراً هاتلاً برأي على كل شيء . ليمهد السبيل بعد الى بناء شيء كثير . ولست اشك في أنه اذا ما انتشر في البيئات الاسلامية حق الانتشار خليق بأن يوقظها على آفاق جديدة ، وان يحدث في جنباتها دوياً فكرياً لا يقل عن ذلك الذي احدثته ، لاول عهدها بالنشر ، آراء داروين وفرويد في المجتمع العربي ، مع اختلاف في الجهة واختلاف في الاتجاه .

يقول المؤلف في الصفحة الثالثة والثمانين ما خلاصته ان الاسلام لا يستطيع في هذا العالم المملوء بالآراء الجديدة المتصادمة والتيارات الثقافية المتعارضة ان يظل شكلاً أجوف . لقد انقضى نومه السحري الذي دام اجيالاً فيجب ان ينهض او ان يموت . إن المشكلة التي تواجه المسلمين اليوم هي مشكلة مسافر وصل الى مفترق الطرق . انه يستطيع ان يظل واقفاً مكانه ، وهو يستطيع ان يختار الطريق التي تتجه نحو المدنية الغربية او ان يختار الطريق التي ترجع به الى حقيقته . فأي الطريقين الي به وأعود عليه ؟

وليس يتردد المؤلف في النص على انه اذا اراد المسلمون الحفاظ على وجودهم وعلى حقيقتهم الانسانية وعلى ثقافتهم الفريدة فيتعين عليهم ان يتنكبوا الاولى ويسلكوا الطريق الثانية . ذلك بأن المدنية الاوروبية والمدنية الاسلامية ضدان لا يجتمعان ، حتى اذا اجتمعتا كان اجتماعها على حساب اضعفها ، اليوم يعني على حساب المدنية الاسلامية .

وتفصيل ذلك عنده ان الاسلام ليس عقيدة صوفية ولا هو فلسفة . ولكنه نهج من الحياة حسب قوانين الطبيعة التي سنها الله لخلقه . وما عمله الاسمى سوى التوفيق التام بين الوجهتين الروحية والمادية في الحياة الانسانية . وفي حين يسود الاعتبار الديني كل شيء ، في الاسلام ، ويظهر في اساس كل شيء ، نجد ان الغرب الحديث تسيطر عليه في أوجه نشاطه وجهوده اعتبارات من الانتفاع العملي ومن التوسع الفعال فقط . والاتجاه الديني مبني دائماً على الاعتقاد بأن هناك قانوناً ادبياً مطلقاً شاملاً ، واننا نحن البشر مجبرون على ان نخضع انفسنا لمقتضياته . ولكن المدنية الغربية الحديثة لا تقر الحاجة إلى خضوع ما إلا لمقتضيات اقتصادية او اجتماعية او قومية . وهي ، وإن لم تجحد الله ألبتة ، لا ترى مجالاً ولا فائدة لله في نظامها الفكري الحالي . . . صحيح ان الغرب لم يعدم افراداً من ابنائه لا يزالون الى اليوم يشعرون ويفكرون على اسلوب ديني ويبذلون جهد القانط ليوفقوا بين معتقداتهم وبين روح حضارتهم ولكن هؤلاء ، على كثرتهم ، شواذ فقط . ان الاوروبي العادي سواء عليه أكان ديمقراطياً ام فاشياً ، رأسمالياً ام بلشفياً ، صانعاً ام مفكراً – يعرف ديناً ايجابياً واحداً هو التعبد للرقي المادي . وما هيا كل هذه الديانة الا المصانع العظيمة ودور السينما والمختبرات الكيماوية وباحات الرقص وأماكن توليد الكهرباء . وما كهنة هذه الديانة غير الصيارفة والمهندسين وكواكب السينما وقادة الصناعات وأبطال الطيران . . . وليس من شك في ان مدنية من هذا النوع إنما هي سم زعاف لكل ثقافة مبنية على القيم الدينية كالثقافة الاسلامية .

الى هنا ينتهي القسم الاول من هذا الكتاب . ولست اقضي العجب من حسن نفاذ المؤلف الى روح الاسلام وبراعة تصويره لروح الغرب . والحق ان الفصل الثاني الموسوم بروح الغرب مثل عال يجب ان يحتذى في دقة المقارنة وعمق التحليل وجمال العرض .

وبعد ان يفرد المؤلف فصلاً لما دعاه شبح الحروب الصليبية يتابع النظر في المشكلة من حيث تركها : اذا كانت روح الغرب تتنافى وروح الاسلام فاي موقف يتعين على المسلمين ان يقفوه من الثقافة الغربية ومن العلم الحديث ؟

وهو يجيب عن ذلك بأن المعرفة ليست شرقية ولا غربية ، وبأن الاسلام لم يقف يوماً ما سداً في وجه التقدم والعلم . فيحسن

بالمسلمين ان يقبلوا على علم الغرب ليصبحوا أكفاء الشعوب الغربية من الناحية العلمية ، ولكنه يحذرهم من ان ينظروا بعيون غربية ويروا الآراء الغربية . ان دراسة العلوم الحديثة التجريبية ليست هي المضرة بالحقيقة الثقافية في الاسلام، وإنما المضر هو روح المدنية الغربية التي يقترب المسلم بها الى تلك العلوم . فيحسن بنا ألا نتردد في درس العلوم الرياضية الطبيعية حسب الاسس الغربية ولكنا يجب الا نتنازل للفلسفة الغربية عن اي دور من ادوار تنشئة أحداث المسلمين . فما يحتاج اليه العالم الاسلامي اليوم ليس استشراقاً فلسفياً جديداً ولكن تجهيز علمي فني عصري .

وهنا يقترح المؤلف منهاجاً تعليمياً تسيره الاعتبارات الاسلامية وحدها . وهو منهاج يقوم على ان نختار من جميع النتاج العقلي الغربي العلوم الطبيعية والرياضية فنعلمها في مدارسنا . أما تعليم الفلسفة الاوروبية والادب الاوروبي والتاريخ العام كما ترى هذه كلها من وجهة نظر الغرب فيجب ان يفقد المرتبة الفضلى في برامج التعليم . فتاريخ الاوروبيين الوصفي للعالم ، مثلاً ، ليس في الحقيقة الا تاريخاً مفصلاً للغرب ، وهو لم يحسب لغير الشعوب الاوروبية حساباً الا اذا كان لوجودهم وتقدمهم تأثير مباشر في مصير اوروبه . واذاً فيتعين على قادة الفكر الاسلامي ان يعملوا جهدهم لتعديل تعليم التاريخ على اساس وجهة النظر الاسلامية ، وهي مهمة شاقة ولكنها ممكنة . والا فان الجيل الاسلامي الحديث سيستمر على التأثر بهذه التيارات الخفية التي تحمل اليه احتقار الاسلام . وستكون النتيجة شعوراً بالنقص يتزايد يوماً بعد يوم .

والحق ان في هذا الفصل الموسوم « في التربية » فكرات بعضها لا ينكر وبعضها يحتمل الخلاف . وأياً ما كان فالمؤلف انما يدافع عن راي يراه . وان في كلامه الكثير مما يهم رجال التربية في البلاد العربية بوجه خاص ، في هذا الدور من حياتنا الذي نفرغ فيه لتوجيه المناهج التعليمية وجهة جديدة .

وبعد هذا الفصل في التربية يعقد المؤلف ثلاثة فصول لا تقل شأناً عن الفصول التي استعرضنا وهو يتناول بالبحث في هذه الفصول الاخيرة موضوعي «التقليد» و « السنة » فيذهب الى ان تقليد المسلمين ، سواء أكان فرديا أم اجماعيا ، لطريقة الحياة الغربية هو بلا ريب اعظم الاخطار التي تستهدف لها الحضارة الاسلامية ، لان السطحيين من الناس فقط يستطيعون ان يعتقدوا ان من الممكن تقليد مدنية ما في مظاهرها الخارجية من غير ان يتأثر في الوقت نفسه بروحها . وهو خطر مبالغ في تهويله ، فيما أرى فاذا اعتبرت صعوبة الآخذ بما يذهب اليه المؤلف ادركت مبلغ الاعنات الذي ينطوي عليه . ومثل هذا الاعنات يتكشف عنه بحث المؤلف في السنة حيث ينص في توكيد شديد على وجوب العمل بالسنة ككل لا يتجزأ اذا اردنا ان نحيا حياة تتفق في معناها مع الاسلام . ذلك بانه « ليس في الاسلام مجال للخيرة فاذا قبلنا تعاليمه كما بسطها القرآن الكريم أو كما اوردها الرسول فيجب علينا ان نقبلها تامة والا خسرت قيمتها » ولست اراني عاديا جانب الصواب اذا قلت ان في هذا النص على « كلية » الحديث النبوي ، بما فيه مضعوف ومحمول ، ما يفقد الاسلام ميزته من المرونة والموافقة لمقتضيات العصر واحواله .

*

وأحسب ان لو قد نشر هذا الكتاب في دنيا العرب والاسلام قبل ثلاثين سنة او قبل عشرين سنة اذاً لحظي بما هو به خليق من احداث رجة فكرية تزلزل وتبني في وقت واحد . ولكن الكتب على ما يظهر ، ما عادت تجد صداها في نفوس الناس ، هذه الايام كما كانت قبل . وهو شيء محزن على كل حال ، ودليل جديد على هذه اللا مبالاة التي تطبع حياتنا العصرية ، والتي اشار اليها المؤلف في اسف شديد .

واذا كان فضل المترجم في الدقة وحسن الاداء لا يقل عن فضل المؤلف فقد تعين علينا ان نحمد لمعرب هذا الكتاب ، الدكتور عمر فروخ ، ما قدمه من صنيع ، وما تم له من تجويد في النقل وحسن البيان ، وان نشكر للدكتور مصطفى الخالدي ، كاتب مقدمته ، اهتمامه باذاعة هذا الكتاب في اللغة العربية واقتراحه على ناقله بنقله .

« قدامة »



٢٨ تشرين اول سنة ١٩٤٦ – القى المستر اتلي بياناً في مجلس العموم حول المحادثات الاخيرة التي دارت في لندن بين دولة صدقي باشا والمستر بيفن نفى فيه تصريحات صدقي باشا عن توحيد مصر والسودان وان هذه المحادثات لا تربط الحكومة البريطانية بأي عهد وليس في النية اجراء اي تعديل على وضع السودان .

٢٩ – اجاب المرشال ستالين على اسئلة المستر بايلي رئيس وكالة الصحافة المتحدة بانه يدعو الى توحيد المانيا سياسياً واقتصادياً وان شروط بوتسدام لجعل المانيا ديموقراطية لم تطبق بحذافيرها وان روسيا لم تكتشف سر القنبلة الذرية ولا تبالي بوجود الاسطول الاميركي في مياه البحر المتوسط .

– تكلم فارس بك الخوري في مؤتمر الامم المتحدة عن صلاحيات مجلس الامن وانه بمقدوره ان يتم الغاية التي انشىء من اجلها وان يدافع عن الدول المهددة بالخطر بقطع النظر عن قوة الدولة المعادية . وانتهى قائلا : ان العرب ان يثيروا قضية فلسطين بالدورة الحالية .

٣٠– استأنف الارهابيون اليهود في فلسطين اعمالهم الاجرامية ونسفوا محطة السكة الحديدية في القدس وقد قتل ثلاثة جنود بريطانيين وجرح خمسة عشر جندياً .

– صرح مولوتوف في خطابه الذي القاه في الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة بان استعمال القنبلة الذرية من جانب قد يجيب عليها الجانب الآخر بقنبلة ذرية اخرى وسلاح جديد .

١ تشرين الثاني ١٩٤٦ – اتخذت الحكومة المصرية تدابير احتياطية هامة والغت جميع اجازات رجال الشرطة لمنع وقوع اية اضطرابات اثناء الاضراب العام احتجاجاً على وعد بلفور .

– طلب المستر اتلي من السنيور ده غاسبيري حراسة منشآت بريطانيا بايطاليا عقب نسف الجناح الكبير من السفارة البريطانية

٢– اكدت جريدة الديلي اكسبريس ان لدى الولايات المتحدة ٩٦ قنبلة ذرية .

– وافقت اللجنة السياسية في منظمة الامم المتحدة على ادخال اسوج وايسلندا وافغانستان الى منظمة الامم المتحدة واعتبارها اعضاء في منظمة الامم المتحدة .

٦ – احرز الحزب الجمهوري الاميركي فوزاً ساحقاً على الحزب الديموقراطي في مجلس الشيوخ والنواب .

– باشرت السلطات الروسية بنقل مصانع « زايس » من « يا نا » المانيا الى روسيا .

٧– اصدر المرشال ستالين بمناسبة الذكرى التاسعة والعشرين للثورة الروسية امراً يومياً دعا فيه الجيش للاستعداد .

– تجددت حوادث الشغب الطائفية في منطقة بيهار في الهند وبلغ عدد القتلى الف قتيل

٨– القت ست طائرات روسية قنابلها على مدينة « انتونغ » الواقعة على حدود منشوريا .

٩– رحبت الحكومة البريطانية بالاقتراح الفرنسي الرامي الى عقد مؤتمر ثلاثي لمراقبة الهجرة اليهودية في اوربا الغربية .

١١– طلب الاتحاد السوفياتي من بريطانيا ان تمنح فلسطين استقلالها او ان تضع الاراضي المقدسة تحت وصاية الامم المتحدة .

١٢– صرح المستر تشرشل في مجلس العموم بان الحالة الدولية لم تتحسن والجيوش الروسية في اوروبا على اهبة الحرب ودعا الى الانسحاب من فلسطين .

١٤– افتتح الملك فاروق البرلمان المصري والقى صدقي باشا خطاب العرش اعلن فيه جلاء البريطانيين عن القاهرة والاسكندرية والدلتا والاتفاق على وحدة وادي النيل تحت التاج المصري

١٥– طلب المستر اتلي من النواب المنشقين عن العمال سحب مقترحاتهم فرفضوا .

– نشبت معركة دامية بين الثوار والجيش في اليونان وقد اشتركت جماعات يوغوسلافية بالقتال مع الثوار

١٨– اعترفت الحكومة الهولندية بالحكومة الجمهورية الاندونيسية كحكومة تمارس السلطة في جاوا وسومطرا وجيره ماكورا وذلك بموجب اتفاقية عقدت بين الجانبين .

– نشبت الاضطرابات في القاهرة عندما اشعل الطلاب الجامعيون النيران في سيارتين كبيرتين . وقد رشق طلاب الطب رجال الشرطة بالحجارة من فوق سطوح كلية الطب بعد ان اعلنوا الاضراب احتجاجاً على موقف الحكومة المصرية من المفاوضات .

– قامت مناقشة في مجلس العموم بين الحكومة البريطانية وبين النواب العمال « المنشقين » اتهموا فيها الحكومة بانحرافها عن سياسة الحزب وباتفاقها مع اميركا على حساب روسيا . وعلى الاثر قام المستر اتلي وطرح الثقة على المجلس فنالها بالاجماع (٣٥٣) صوتاً ضد لا شيء .

١٩– انتخبت اليوم كولومبيا وسوريا والبلجيك اعضاء في مجلس الامن التابع لهيئة الامم المتحدة وبذلك تكون سوريا قد حلت محل مصر .

– لا تزال المعركة تدور حامية الوطيس بين القوات الحكومية اليونانية ورجال العصابات الثائرة بالقرب من الحدود اليوغوسلافية وقد سيطر الثوار على مئة قرية .

– وقع مندوبو اسوج وايسلندا وافغانستان الوثائق الرسمية لاعتبارهم اعضاء في منظمة الامم المتحدة في احتفال رسمي ثم اخذوا مراكزهم في المجلس .

٢٠– قررت الحكومة اليونانية اثارة حوادث الاضطرابات التي جرت على حدودها الشمالية امام مجلس الامم المتحدة .

٢١– اكتشفت السلطات الالبانية مؤامرة لاغتيال انور خوجه واعضاء حكومته .

– اعلنت وكالة الانباء اليوغوسلافية الرسمية « تانجوك » ان الاتهامات التي توالي الحكومة اليونانية توجيهها الى يوغوسلافيا قد اتخذت شكلاً يهدد بانقطاع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين انقطاعاً تاماً . وقد سحبت يوغوسلافيا ممثليها الدبلوماسيين ولم تترك الا قائماً بالاعمال .

٢٢– وجه مندوب مصر نداء امام اللجنة السياسية لهيئة الامم المتحدة اثناء التناقش في الاقتراح السوفياتي المتعلق باحصاء قوات الامم المتحدة في الخارج طالب فيه بالمساواة بين جميع اعضاء الامم المتحدة .

٢٥– اعلن وزير الحربية اليونانية ان الجيش اليوناني الذي يقاتل الآن في مقدونيا سيتلقى النجدات والاسلحة من الحلفاء لمتابعة القتال .